وصايا الصالحين عند الموت

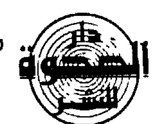
على عبد المحسن جبر

تقديم ومراجعة

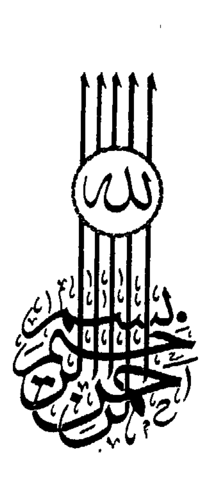
الدكتور / عبد الحليم عويس

وصايا الصالحين
عند الموت

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م



دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة
الإدارة: ٧ ش السراى - أول المنيل ت . فاكس: ٩٨٧٩٢٤
الفرع: حدائق حلوان - بجوار عمارات المهندسين ت ٣٧٤٠٠٧١


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تقوم الآخرة ، وما بعدها من حساب وثواب وعقاب ، فى وجداننا ــ نحن المسلمين ــ مقام الحقيقة الحاضرة المشاهدة ؛ فنحن نمضى فى الدنيا نراقب الله فيما نفعل ، وننتظر منه الفضل فى الآخرة، مدركين أن هذه الدنيا جسر عبور صغير، وأن ما بعد الموت هو الحياة الحقيقية .

ولهذه الحقيقة المهيمنة على حياتنا تتجه سلوكياتنا ، فى أدوار حياتنا المختلفةوفق منهج خاص، فقد تمرّ بنا مراحل نسيان تحت وطأة فترات المراهقة والشباب، أو تحت ضغوط الثراء والغريزة وحب الجاه والسلطان والشهرة، أو تحت أية نوازع أخرى .

لكن، عندما يبلغ بنا السن أشده، أو كما قال القرآن : ﴿**حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة**﴾ [الأحقاف : ١٥]، عند هذه السن غالبا، يبدأ الإنسان فى تقويم تجربته على الأرض؛ إذ أنه بعد هذا العمر يكون قد عرف قيمة الدنيا ــ وقد ذاق كثيرا من ملذاتها، وآلامها ــ وأدرك : كم هى صغيرة صغيرة . . !! وكيف تمضى مسرعة مسرعة ! لدرجة أنه يتخيل الماضى كله وكأنه ومضة خاطفة أو ساعة من ساعات الضحى: ﴿ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** ﴾ [الروم : ٥٥]، إنهم صادقون فى

إحساسهم ؛ فقد مضت أعمارهم كما تمضى أعمار الصالحين أيضا بسرعة خارقة، فلا أطالت الملذات العمر، ولا بارك الثراء فى الحياة وأعطاها إضافة فى الزمان أو المكان . . . كلا . . فكل ذلك ربما كان من أسباب ضياع العمر .

لكن شتان بين الصالحين الذين تركوا أرصدة ضخمة من الحسنات والطاعات والعبادات، وبين هؤلاء الآخرين المفسدين الذين لا رصيد لهم قدموه، وبالتالى لاثمار طيبة ينتظرونها فى الدار الآخرة .

فإذا ما مضى بالمسلم العمر بعد الأربعين، وكان الله قد أختار له الهداية، واصطفاه من الصالحين، فإنه يعود تائبا مما يكون قد وقع فيه، مقلعا من ضغوط الواقع البشرى، بغرائزه وزخارفه ومغرياته . . . شاقا لنفسه طريقا جديدا يكون أقرب إلى التطهر مما فات ، والتكفير عن السيئات ورفع الدرجات . . !

وكلما مضى به العمر ـ فتجاوز الخمسين أو الستين ـ كان إقباله على الله أكبر ، وكان اتجاهه فى تعمير الكون على نحو يرضى الله ، ويترك بصماته ـ بعد مماته ـ فى هذه الدنيا تجلب له دعاء الناس وترحمهم وذكرهم الحسن ، وتترك ذريته كذلك حاملة مشعل الإيمان والخير والنور .

ولعل اللحظات الأخيرة فى حياة كل إنسان هى اللحظات

الأجدر بأن يلخص فيها آماله من الذين خلفهم ، ويقدم فيها فقهه لقيمة الحياة ، وجماع مايريد من محبيه وذويه .

ولقد علمنا الأنبياء هذا المنهج ، فرأينا نبى الله يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ لايتذكر أمرا من أمور الدنيا ، ولا عاطفة من العواطف ، أو حاجة من الحاجات ، بل يتذكر ـ فقط ـ الهم الأكبر الذى يشغله ، والقضية الكبرى التى تعنيه ، وهى قضية الإيمان . . . تلك التى كانت قضية حياته ، وتلك التى يريد أن تكون أفضل مايرثه أبناؤه عنه ؛ لأنهم بهذا الميراث الإيمانى يكسبون أعظم صفقة ، وهى الخلود فى الجنة ، ورضا الله . . . إنها الصفقة التى يجب أن يحرص على ربحها لنفسه وذويه كل عاقل حتى بمقياس الربح المادى . . فأين متعة أربعين أو خمسين سنة (إن أمكن تحقق المتعة فى هذا العمر دون مكدرات ومنغصات وأمراض ، وهو مستحيل عقلا ومشاهدة . . ؟!) ، أين هذه المدة الهزيلة من خلود ملايين السنين التى لايعلم مداها إلا الله فى الجنة أو فى النار حتى بالمقياس النفعى البحت كما ذكرنا . . . ولهذا ركز نبىّ الله يعقوب وصيته فيما حكاه عنه القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون**﴾ [البقرة: ١٣٣] .

وكان يعقوب ابنا بارا وتلميذا نجيبا لجده إبراهيم أبى الأنبياء ــ عليهم السلام ــ فقد كان هو الأسبق فى الوصية بالإيمان فوق كل شىء . كما أخبرنا الله تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [البقرة : ١٣٢] ،وعلى خطا حداة الإيمان ، وهداة القافلة ، سار أتباعهم منذ عهد آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ وحتى مدرسة محمد بن عبد الله ، خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام .

وقد عرف الناس كثيرا من صور البسطاء والمخطئين ، ترق قلوبهم فى أواخر أيامهم ، فيبصرون بعد عمى ، ويهتدون بعد ضلال ، ويقلعون عن عالم الشهوات والغرائز ، إلى عالم الإيمان والصلاح والتقوى ، وتجدهم تذكروا وأبصروا وسجلوا وصاياهم منسجمة مع الخير ،ومع القيم والمبادئ النافعة الهادية ، التى ورثوها من الأنبياء والصالحين والراشدين .

بيد أننا فى المقابل ، نجد عجبا من أبناء تلك الحضارة الأوربية المادية ، التى نجحت بمذاهبها ونحلها فى اقتلاع بذور الإيمان من قلوب الناس،فذبل إحساسهم بالآخرة حتى فى أخطر اللحظات ــ أى عند الموت ــ فى الوقت الذى يفيق فيه الغافل ،ويستيقظ فيه صاحب الضمير الهامد . . ومع ذلك تجد هؤلاء الذين عاشوا فى وحل المادية والغرائز قد طمس الله على قلوبهم ، فتركوا وصايا

لايشم فيها رائحة الإيمان أو التوبة ، بل هى إلى الحقد والسخرية والظلم أقرب . . فهذا يوصى ضد زوجته، وهذا يحرم أرحامه وذويه ، وهذا يوصى بنشر الخمور ، وهذا يوصى برصد مبالغ للراقصين ، وهذا يرصد ثروته للكلاب والقطط تاركا ملايين الفقراء من القريبين والبعيدين .

لقد مات لديهم كل أثر للدين . وكل أثارة من إيمان أو علم صحيح . . وكل رائحة رحمة أو خير؛ لأنهم — فى الأغلب — جمعوا ثرواتهم من الحرام . . . فوجهها الله إلى ما يضرّ ولا ينفع .

ويضاف إلى هؤلاء بعض المنافقين الذين انسلخوا من الإيمان . . وجنحوا إلى النفاق والدنيوية العلمانية .

وثمة وصايا كثيرة ، وردت فى كثير من الكتب ، تؤكد هذا الذى نقوله . . ونعوذ بالله من سوء الخاتمة ، ومن الطمس على القلوب .

ونقتبس — فى هذا المجال — بعض الوصايا المنحرفة الضالة ، ليعرف القارئ المسلم حين يسيح فى هذا الكتاب قيمة الدين الذى هداه الله إليه :

— كان السلطان المغولى « أكبر » منحرفا عن الإسلام ، جانحاً نحو الوثنية ، وقد هدى الله ابنه وولى عهده ، فأنقذ الإسلام فى الهند . . . وكان « أكبر » متزوجا من هندوسية ،

ولهذا جاءت وصاياه تعبيراً عن انحرافه الأخلاقى والفكرى ومن تلك الوصايا المنحرفة ، وصيته التى يقول فيها :

على كل زوج أن يتخذ له أربع زوجات :

« هندية » . . لتنجب له أولاداً .

« فارسية» . . للمحادثة .

« أفغانية » . . للعناية بالشؤون المنزلية .

« تركية » . . للضرب والتأنيب كى تكون عبرة لسواها !

ونحن نلحظ أن الوصية لايمكن أن تكون صحيحة بإطلاق ، ففى كل جنس الصالحة والفاسدة والمتوسطة . . . !

ــ وفى القرن الثالث عشر . أوصى أحد سلاطين العجم أولاده بالعناية بقططه . . وكان قد خصص لها جناحاً خاصا فى قصره المنيف ، وعيّن عدداً كبيراً من الخدم للاهتمام بها ! . . ووصية هذا السلطان العجمى ــ كما نرى ــ تدل على فراغ فكرى وإنسانى !

ــ وقد سجلت الكاتبة الأمريكية المعروفة « اجنز سمدلى » عام ١٩٥١ وصيتها . . فطلبت فيها أن تحرق جثتها بعد وفاتها ، وأن ينقل رمادها ليستريح فى الصين الشيوعية . . أما دخل كتبها،

وما تملكه من سندات على الحكومة الأمريكية ، فتقدم إلى الجنرال « سونج » القائد العام للقوات الصينية ــ آنذاك . ومن المعروف أن الكاتبة « اجنز » كانت من أكبر مروجى الدعوة للصينيين الشيوعيين ، فجاءت وصيتها تعبيرا عن أفكارها الملحدة ، وجاءت تعبيرا عن الفراغ النفسىّ والروحىّ !

ــ ومن الوصايا الهازلة الدالة على هذا الفراغ الروحى أيضاً،وصية الرسام الهولندى بأن تمنح هبة مالية كل عام من ثروته لإحدى الفتيات القريبة بشرط أن يأتى العريس والعروس ــ يوم الزفاف ــ إلى قبره ، ويرقصا هناك . . . . أى عند قبره . . ؟!

وهكذا يحبون الرقص والعبث . . حتى بعد الموت ؛ لأنهم لم يقدروا الآخرة قدرها ، ولم يؤمنوا ــ بحق ــ بأن هناك ناراً حقيقية تكوى بهم الجباه والجلود الكافرة المعاندة للوحى وعقائد الغيب . . . !

ــ وقد أوصى « فرنسيس رجينالد » ــ لورد استرالى ــ لزوجته بأجرة ترام إلى أى مكان تغرق فيه نفسها » ! .

وبصرف النظر عن الدلالة اللاأخلاقية لهذه الوصية ،فهى تطلعنا على نتيجة من نتائج تقييد الطلاق ومنعه فى المسيحية ، فقد عاش (رجينالد) مبغضاً لزوجته يتْمنى لها الموت ، فأى حياة زوجية كانت بينهما . . ؟!

ـ أما « جون فلبريز » . . فقد كتب فى وصيته لزوجته ماهو أنكى ، فقال فى وصيته :

أوصى لزوجتى بعشيقها ، ومعرفتى بالعلاقة التى بينهما . . ولم أكن مغفلاً ، كما كانت تعتقد !

« أما ابنى . . فإنى أترك له متعة تحصيل رزقه بنفسه ، فقد قضى ٣٥ عاما وهو ينتظر موتى ليرث كل أموالى !

« أما ابنتى . . فأترك لها (٢٠ ألف جنيه) ؛ لتستمتع بها مع زوجها الذى غامر حين رضى بالزواج منها ، وقضى كل هذه الأعوام بصحبتها . ! »

ونحن نلمس فى وصية « فلبريز » البغض الشديد لزوجته، ونرى « ديوثته » واضحة حين يعلن علمه بخيانة زوجته، كما نرى ـ أيضا ـ أثر منع الطلاق فى أوربا وإرغام الناس على أن يعيشوا ضمن أسر مفككة يكرهونها !

ـ وفى السياق نفسه نجد وصية أخيرة تحمل دعابة ضمنية ، لكنها تؤكد المعانى التى أشرنا إليها . . .

فقد أوصى أحد الأزواج قائلا :

« لقد أعددت وصيتى ، وجعلت فيها كل ثروتى لامرأتى، على شريطة أن تتزوج فى الحال ثانية . . فهذه الوسيلة أضمن بها

أنه سيكون هناك ـ على الأقل ـ رجل واحد يندم على موتى».

ولأمر لم نستطع الحصول على تفسير له ، أوصى رجل أمريكى بثروته لامرأته بشرط أن تحلق شعر رأسها . . فاضطرت المرأة إلى حلق شعرها ، ولبست شعرا مستعاراً .

ـ وثمة وصايا تتجه اتجاها آخر تدل على التفكك الإنسانى وقطع الأرحام والأواصر الاجتماعية ، وتفريغ شحنات الحب والولاء فى الحيوانات والطيور . . فقد أوصت سيدة بمبلغ (. . .و٣٠ جنيه) لببغاء وديك كانت تحبهما أثناء حياتها . . محرمة على أقاربها ـ وكانوا جميعا فقراء ـ الانتفاع بشىء من تركتها!

ـ ونجد الأمر نفسه فى الوصية التالية :

قضت إحدى المحاكم فى (أمريكا) ـ عام ١٩٥١م أخيرا ـ برفض دعوى ، رفعها ورثة « مارجريت ماك ديرموث » من «شيكاغو » ضد كلب هذه السيدة المتوفاة ، واسمه « سبيتر » ؛ لأنها أوصت بثروتها كلها لهذا الكلب الذى كانت تقول عنه ـ أثناء حياتها ـ :إنه صديقها الوفى الوحيد فى هذه الدنيا . وقدبلغت هذه الثروة الموصى بها للكلب (٠٠٠و٦٠٠ جنيه) !

ـ وحتى القسس الذين يفترض فيهم وجود شىء من الخوف

من الله سقطوا فى المنهج نفسه :

فقد توفى القس الأمريكى « تشارلز كمنجز » سنة ١٩٣٥م، ولما فتحت وصيته؛ وجدوا أنه يوصى فيها بضرورة الاهتمام بكلبه.. وترك له مالاً يكفى نفقته طوال حياته .. ثم أوصى ــ بعد ذلك ــ بأنه عندما يموت الكلب يدفن تحت قبر سيده فى قبر صغير خاص به .. وأن تكتب على قبره هذه الكلمة (بطرس الصغير = كلب المنزل) .

ــ ويبدو أن للكلاب حظْوة خاصةعند رجال الحضارة الأوربية ونسائها بخاصة ، ففى سنة ١٩٥٢ م مات فى (بريطانيا) رجل ترك فى وصيته منزلاً وخمسة آلاف جنيه لكلبه .. وقال فى وصيته : إن المسكن يخصص ليقطن فيه الكلب ، والآلاف الخمسة ليشترى بها عظما، ويرفه بها عن نفسه فى أيامه الباقية... أى أيام الكلب الباقية من حياته !

ــ وتبلغ درجة البعد عن الدين وافتقاد الخوف من الله أن يوصى أحدهم بشرب الخمر فى جنازته .. فقد أوصى فرنسى بجزء كبير من ماله لجماعة من إخوانه .. ولم يشترط سوى شرط واحد هو : «أن يحملواجثمانه إلى القبر، وأن يقفوا فى طريقهم لشرب كأس من النبيذ فى الحانة الصغيرة التى طالما اجتمعوا فيها فى المساء للعب الورق » !

وفى مقابل هذه النماذج المظلمة . . . ستجد عند قراءتك لهذا الكتاب العظيم نماذج النور والخير ؛ لتعرف الفرق بين أثر الإيمان والكفر ، والنهار والليل ، والإسلام والجاهلية ، والروحية والمادية . . وبالتالى لتعزم أمرك ــ أخى القارئ ــ فى اتجاه الطريق الذى يضمن لك سعادة الدارين ، وأفضل الذكرى وأجمل الأثر . . . ، وأطيب العاقبة . . . . وماعند الله خير وأبقى .

د . عبد الحليم عويس

الفصل الأول

وصايا بعض النبيين عليهم السلام
عند الموت

وصية آدم (عليه السلام) لأبنائه حين وفاته

حينما دنا أجل أبى البشرية الأول آدم ــ عليه السلام ــ وتمدد على فراش من أغصان الشجر والورد ، بلحيته البيضاء ، ووجهه الطيب ، وقف أبناؤه جميعا حوله فى انتظار وصيته . وتحدث آدم ــ عليه السلام ــ فى هذه اللحظات الأخيرة من حياته ، فأفهم أبناءه أن هناك سفينة واحدة لنجاة الإنسان ، وسلاحا واحدا لانتصاره ، هذه السفينة ، هى هدى الله ، وهذا السلاح ، هو كلمات الله .

طمأن آدم أبناءه بأن الله لن يترك الإنسان وحده على الأرض . . إنما سيرسل أنبياءه لهدايته وإنقاذه . . وسيختلف الأنبياء فى الأسماء والصفات والمعجزات . . ولكنهم سيجمعون على شىء واحد : الدعوة إلى عبادة الله وحده .

وتلك كانت وصية آدم لأبنائه .

وصية نوح (عليه السلام) حين وفاته

روى الإمام أحمد بسنده ،عن عبد الله بن عمرو قال : كنا عند رسول الله ﷺ ،فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان (جمع ساج ،وهو الطيلسان الأخضر) ، مزرورة بالديباج ، فقال: « ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس ، أو قال : يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ، ويرفع كل راع ابن راع» .

قال : فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبته وقال : « ألا أرى عليك لباس من لا يعقل !؟ » ثم قال : « إن نبى الله نوحا ـ عليه السلام ـ لما حضرته الوفاة قال لابنه : إنى قاص عليك الوصية ؛ آمرك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين : آمرك بلا إله إلا الله ، فإن السماوات السبع ، والأراضين السبع لو وضعت فى كفة ووضعت « لا إله إلا الله » فى كفة رجحت بهن « لا إله إلا الله » . ولو أن السماوات السبع والأراضين السبع ، كن حلقة مبهمة ؛ قصمتهن « لا إله إلا الله » ،وسبحان الله وبحمده ، فإن بها صلاة كل شىء ،وبها يرزق الخلق ، وأنهاك عن الشرك والكبر » قال : قلت ـ أو قيل ـ : يارسول الله ، هذا الشرك قد عرفناه ، فما الكبر [1] ؟ أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما

(١) الكبر : ازدراء الغير واحتقاره .

شراكان حسنان؟ قال : « لا » قال : هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها ؟ قال : «لا» قال : هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها ؟ قال: «لا». قال : أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه ؟ قال : « لا » قلت ـ :أو قيل ـ يارسول الله ، فما الكبر ؟ قال «سفه الحق وغمط الناس » (١) .

(١) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده (٢/١٦٩/ ١٧٠ ، ٢٢٥ / حلبى) . والبيهقى فى الأسماء (٧٩ هندية) . والهيثمى فى محمع الزوائد (٤/ ٢٢٠) .

وصية أبى الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) لبنيه
ووصيـة يعقـوب (عليـه السـلام) إذ حضـره المـوت

قال تعالى : ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفينـاه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الـصالحين . إذ قال له ربه أسـلم قال أسلـمت لرب الـعالمين . ووصـى بها إبراهـيم بنـيه ويعـقوب يابنـى إن الله اصـطفى لـكم الدين فـلا تموتن إلا وأنـتم مسلمـون . أم كنتم شهداء إذ حضـر يعقوب الموت إذ قال لبـنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلـهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون** ﴾ [1] .

الله ـــ تبارك وتعالـى ـ يثنى علـى نبيه إبـــراهيم ـ علـيـه السلام ـ بأنه اصطفاه فى الدنيا للهداية والرشاد ، من حداثة سنه إلى أن اتخذه الله خليلا ، وهو فـى الآخرة من الصالحين السعداء ، فمن ترك طـريقه هذا (الإسلام) ومسـلكه وملته ، واتـبع طرق الضلالة والغى ، فأى سفه أعـظم من هذا ؟! أم أى ظلم أكبر من هذا؟! وأمره الله ـ تعـالى ـ بالإخلاص له والاستسلام والانقياد ، فأجـاب إلى ذلـك شرعا وقـدرا ، وقد وصـى بهذه المـلة ـــ وهى الإسلام لله ـ أو بالـكلمة وهى قوله : أسلمت لـرب العالمين ـ بنيه ، وكذلك وصى بها يعقوب بنيه أيضا قائلا : يابنى إن الله ـ

---

(١) سوره البقرة . (الآيات من ١٣ ـ ١٣٣)

تعالى ــ أعطاكم الدين الذى هو صفوة الأديان ، وهو دين الإسلام ، ووفقكم للأخذ به ، فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام أى أحسنوا فى حال الحياة ، والزموا هذا ؛ ليرزقكم الله الوفاة عليه ، فإن المرء يموت غالبا على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه ، وقد أجرى ـــ الله الكريم ــ عادته بأن من قصد الخير ؛ وفق له ويسر عليه ، ومن نوى صالحا؛ ثبت عليه ، كما تشير الآيات إلى سؤال يعقوب لبنيه وقد حضره الموت: ماتعبدون من بعدى ؟ وإجابتهم بأنهم يعبدون إلهاً واحدا لا يشركون به شيئا غيره ، وأنهم مطيعون له خاضعون ، وهكذا جاءت تلك الوصية الجامعة التى تشير إلى أن الإسلام هوملة الأنبياء قاطبة ،وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم ، كما قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ [١] .

---

(١) سورة الأنبياء : (الآية ٢٥).

مسك الختام لحياة خاتم النبيين : محمد ﷺ

قال ابن إسحاق : . . . وحدثنى عبد الله بن عمر ، عن عبيد ابن جبير مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مويهبة ، مولى رسول الله ﷺ قال : بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال : « يا أبا مويهبة ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى » ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : « السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى » ، ثم أقبل علىّ ، فقال : « يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة » ، قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، قال : « لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة » ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذى قبضه الله فيه .

وقال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أيوب بن بشير : أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به ، أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : « إن عبداً من عباد الله

خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله » . قال : ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : « على رسلك يا أبا بكر » ، ثم قال : « انظروا هذه الأبواب اللافظة (النافذة) فى المسجد ، فسدوها إلا بيت أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه » .

قال ابن هشام ، ويروى : « إلا باب أبى بكر » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد بن المعلى : أن رسول الله ﷺ. قال يومئذ فى كلامه هذا : « فإنى لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده» .

فنحن نرى حرص رسول الله ﷺ على لقاء ربه وتفضيله ما عند الله من الجنة والثواب على كنوز الدنيا ، والخلد فيها ، كما نرى حبه لأصحابه ، وثناءه عليهم ، وبخاصة أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ واستغفاره للمجاهدين والشهداء ، وهو يعانى من اشتداد المرض فى أيامه الأخيرة ، حتى إنه طلب أن يصبوا عليه سبع قرب من آبار شتى ؛ ليخرج إلى الناس ويعهد إليهم ، ويوصيهم ﷺ .

وكان مما أوصى به ﷺ ــ وهو فى مرض الموت ــ إنفاذ بعث

أسامة بن زيد ، فقد حمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته ، لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها » .

وكان الناس قد تحدثوا فى إمرة أسامة ، قائلين : أَمَّر غلاما حدثا (صغيرا) على جلة المهاجرين والأنصار فاستبطأ رسول الله ﷺ الناس فى بعث أسامة بن زيد وهو فى وجعه ، فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر وطلب منهم إنفاذ بعث أسامة، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه ، حتى نزلوا الجرف ـ من المدينة على فرسخ ـ فضرب به عسكره واجتمع إليه الناس ، وثقل رسول الله ﷺ فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قاض فى رسول الله ﷺ .

ومن وصاياه ﷺ وهو فى مرض الموت ما قاله الزهرى : عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : «يامعشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيرا ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لاتزيد ، وأنهم كانوا عيبتى (موضع سرى) التى آويت إليها، فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم» .

ومن وصاياه ﷺ قبل وفاته بخمسة أيام تحذيره من اتخاذ قبره وثنا يعبد ، ففى صحيح البخارى أنه ﷺ قال : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »، وفى رواية : « قاتل الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم

مساجد » [1] ،وقال : «لاتتخذوا قبرى وثنا يعبد » [2] .

وقد عرض نفسه ﷺ للقصاص قائلا : « من كنت جلدت له ظهرا ،فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضى فليستقد منه » [3] .

ومن وصاياه ﷺ قبل وفاته بأربعة أيام أن يصلى أبو بكر بالناس ، فصلى أبو بكر تلك الأيام فى سبع عشرة صلاة فى حياته ﷺ وراجعت عائشة رضى الله عنها النبى ﷺ ثلاث أو أربع مرات ليصرف الإمامة عن أبى بكر حتى لايتشاءم به الناس ، فأبى، وقال : « إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس » [4] .

ومن أواخر وصاياه ﷺ الوصية بالاعتصام بالكتاب والسنة وقوله ﷺ : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » .

وفى آخر يوم من حياته ﷺ على هذه الأرض ، يقول أنس ابن مالك : إن المسلمين بينا هم فى صلاة الفجر من يوم الإثنين ــ وأبو بكر يصلى بهم ــ لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة ، فنظر إليهم ، وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم

---

(١) صحيح البخارى ١/٦٢ ، موطأ الإمام مالك ص ٢٦٠ .

(٢) موطأ الإمام مالك ص ٦٥ .

(٣) صحيح البخارى ١/٥٣٦ .

(٤) صحيح البخارى ١/٩٨ ، ٩٩ .

يضحك ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة ، قال أنس : وهمّ المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم ، فرحا برسول الله ﷺ ، فأشار إليهم بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر(١) . ثم لم يأت على رسول الله ﷺ وقت صلاة أخرى .

ولما ارتفع الضحى دعا النبى ﷺ فاطمة فسارها بشىء فبكت، ثم دعاها فسارها بشىء فضحكت ، قالت عائشة : فسألنا عن ذلك ـ أى فيما بعد ـ فقالت : سارنى النبى ﷺ أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه ، فبكيت ، ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهله يتبعه فضحكت (٢) .

وبشر النبى ﷺ فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين ، ورأت فاطمة ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذى يتغشاه فقالت : واكرب أباه ، فقال لها : « ليس على أبيك كرب بعد اليوم »(٣) .

وعند احتضار رسول الله ﷺ أسندته السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وكانت تقول : إن من نعم الله علىّ أن رسول الله ﷺ توفى فى بيتى ، وفى يومى ، وبين سحرى ونحرى ، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته ، دخل عبد الرحمن بن

---

(١) صحيح البخارى ، باب مرض النبى ﷺ ٢/ ٦٤٠ .

(٢) صحيح البخارى ٢/٦٣٨ .

(٣) صحيح البخارى ٢/ ٦٤١ .

أبى بكر وبيده السواك ، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم . فتناولته فاشتد عليه ، وقلت : أُلَيِّنه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته ، فأمرّه ـ وفى رواية : أنه استن بها كأحسن ما كان مستنا ـ وبين يديه ركوة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بها وجهه ، يقول : « لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات » الحديث [1] .

وماعدا أن فرغ من السواك ، حتى رفع يده أو إصبعه ، وشخص ببصره نحو السقف ، وتحركت شفتاه ، فأصغت إليه عائشة وهو يقول : «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اللهم اغفر لى وارحمنى ، وألحقنى بالرفيق الأعلى ، اللهم الرفيق الأعلى » [2] .

كررالكلمة الأخيرة ثلاثا ، ومالت يده ، ولحق بالرفيق الأعلى . « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الإثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وقد تم له ﷺ ثلاث وستون سنة ، وزادت أربعة أيام .

---

(١) صحيح البخارى ، باب مرض النبى ﷺ ٢/ ٦٤٠ .

(٢) نفس المصدر والباب ، وباب آخر ما تكلم النبى ﷺ ٢/ ٦٣٨ ـ ٦٤١ .

الفصل الثانى

الكلمات الأخيرة

لبعض آل بيت النبى ﷺ

من الكلمات الأخيرة لأم المؤمنين
السيدة « خديجة » رضى الله عنها

أما أم المؤمنين السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ أولى أزواج النبى ﷺ ومن قال عنها وهو يذكرها بعد موتها ، ويثنى عليها ويدعو لها ، حتى أحست إحدى زوجاتهِ بعض الغيرة لهذه العناية بها فقالت : وهل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها؟! فيرد ﷺ والغضب يظهر على وجهه الشريف : « لا والله .. ! ما أبدلنى الله خيرا منها ! آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء ! » .

هذه السيدة البارة التى امتلأ قلبها بحب الله ورسوله ، والوفاء لدينها ، وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة ، تغالب ما بها من الضعف وتقول لرسول الله ﷺ فى رفق :

الله معك يارسول الله ، إنهم يدبرون ، وسيرد الله كيدهم فى نحورهم ، سينقذك من مخالبهم ، ولن يصلوا إليك وأنت فى كنف الله (أى جانبه ورعايته) ،ثم تصمت قليلا ،وتسأل رسول الله ﷺ : ماذا أعد لى ربى يارسول الله ؟! هل تقبلنى ورضى عنى ؟! فيغمض النبى ﷺ عينيه ، ليخفى ما ترقرق فيهما من الدمع ، ثم يقول فى بسمة رقيقة : « رضى الله عنك ياخديجة

وشكر لك . آويت ، وناصرت ، وبذلت ، وكنت لرسول الله ، إن لك ياخديجة قصورا فى جنـات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، بنيت لك من لؤلؤ ، وأطلت على يانع الشجر ، وجارى الماء » أو كما قال ﷺ فتفتح عينيها الواسـعتين وتسأل فى إشفاق : وكيف حال قريش اليوم ؟! فترد إحدى بناتـها الواقفات حولها وتقول فى حزن : يـنتظرون يـاأماه ، وهكذا تـسير الأم العـظيمة والـزوجة المخلصة الوفية إلى نهايـتها ، لايهمها إلا الرسول ﷺ وما سيناله بعدها من أذى قريش .

آخر ما تلفظت به أم المؤمنين
السيدة : « عائشة » رضى الله عنها

أما الصديقة بنت الصديق ، العتيقة بنت العتيق ، حبيبة الحبيب ﷺ السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله تعالى عنها ـ التى أبلغها رسول الله ﷺ سلام جبريل عليها ،وأثنى عليها الله ـ تعالى ـ فى محكم التنزيل ، وهو يبرئها مما اتهمت به ظلما من حديث الإفك فى سورة النور ، والتى تقول : قلت : يارسول الله ، كيف حبك لى ؟ قال : « كعقدة الحبل » فكانت تقول : كيف العقدة يارسول الله ؟ ، فيقول : « هى على حالها » .

هذه الحبيبة الصالحة والمؤمنة الوفية ، التى مرّضت رسول الله ﷺ فى حجرها ، ووالدها أبا بكر الصديق وهما فى سكرات الموت ، والتى كانت أكثر نساء النبى ﷺ رواية لحديثه ، وعلما بالدين والأدب يستأذن ابن عباس عليها وهى فى مرض الموت فتقول : « لاحاجة لى بتزكيته ، فيقول عبد الرحمن بن أبي بكر: يا أمتاه : إن ابن عباس من صالح بيتك ، جاء يعودك ، قالت : فأذن له ، فدخل عليها فقال : يا أمه ، أبشرى ، فوالله ما بينك وبين أن تلقى محمدا والأحبة إلا أن يفارق روحك جسدك ، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيبا ، قالت : أيضا ؟ قال : هلكت قلادتك بالأبواء ، فأصبح رسول الله ﷺ يلتقطها فلم يجدوا ماءً ، فأنزل الله ـ عز

وجل ــ : ﴿ **فتيمموا صعيدا طيبا** ﴾ فكان ذلك بسببك وبركتك، ما أنزل الله ــ تعالى ــ لهذه الأمـة من الرخصة (أى التيمم عند فقد المـاء) ،وكان من أمر مصطـح (هو مصطح بن أثـاثة الذى خاض فى حديث الإفـك مع الخائضين) ما كان ، فأنـزل الله ــ تعالى ــ براءتك من فوق سبع سمـاواته ، فليس مسجد يذكر الله فيه إلا وشأنك يتـلى فيه آناء الليل وأطراف النهـار . فقـالت : يـا ابـن عباس « دعنى مـنك ومن تزكـيتك ، فواللـه لوددت أنى كنت نسياً منسيا » ، وفى رواية عن الزهرى عن عروة قال : قالت عائشة ــ رضى الله تعالى عنها ــ : « يـاليتنى كنت نسيا منسيا » (أى حيـضة أو شيئـا تافها يـنسى) . وذكروا أنـها لما احتـضرت جزعت ، فقيل لها : أتجزعـين يأم المؤمنين ، وأنت زوجة رسول الله ﷺ وأم المؤمنين ، وابنة أبى بكر الصديق ؟!

فقالت : « إن يوم الجـمل معترض فى حلقى . ليـتنى كنت نسيا منسيا » . (وهى تشير إلى موقعة الجمل المشهورة) .

وبهذه الكلمات يختم فصـل من أروع وأعظم فصول تاريخنا الإسلامى المجيد .

قول أم المؤمنين السيدة : « زينب بنت جحش»
رضى الله عنها حين حضرتها الوفاة [1]

وأما أم المؤمنين : السيدة زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ والتى قال عنها الرسول ﷺ : « إن زينب بنت جحش أواهة » فقال رجل : يارسول الله ، ما الأواه ؟ قال : « الخاشع المتضرع و﴿ **إن إبراهيم لحليم أواه منيب** ﴾ ». فإنها حين حضرتها الوفاة قالت : « إنى قد أعددت كفنى وإن عمر سيبعث إلىّ بكفن فتصدقوا بأحدهما ، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوى (بإزارى) فافعلوا » ـ رضى الله عنها وأرضاها .

---

(١) اسمها : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة . . . بن أسد بن خزيمة .

وأمها : أميمة بنت عبد المطلب ، عمة الرسول ﷺ . وقد تزوجها الرسول ﷺ بعد أن طلقها مولاه ومتبناه زيد بن حارثة . . لتشريع إبطال عادة التبنى التى كانت معروفة عند العرب ، وقد ذكر الله تعالى قصتها فى القرآن : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لايكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا** ﴾ (سورة الأحزاب : الآية ٣٧) . وكانت أول من ماتت بعد النبى ﷺ من أزواجه .

قالت عنها السيدة أم سلمة : « كانت صالحة ، صوامة قوامة » ،وقالت عنها السيدة عائشة حين ماتت : « لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل » .

وصية السيدة : «فاطمة بنت رسول الله » ﷺ

أما السيدة البتول ، والبضعة الشبيهة بالرسول ﷺ ، وأقرب أولاده ﷺ لقلبه الشريف ، وأولهم لحوقا به بعد وفاته ﷺ ، والتى كانت عازفة عن الدنيا ومتعتها ، عارفة بعيوبها وآفاتها ، وسيدة نساء العالمين ، وسيدة النساء يوم القيامة ، كما وصفها بذلك النبى ﷺ (١) ، فإنه لما حضرتها الوفاة أمرت عليا ــ رضى الله عنه ــ فوضع لها غسلا فاغتسلت وتطهرت ، ودعت بثياب أكفانها فأوتيت بثياب غلاظ خشن ، فلبستها ، ومست من الحنوط (وهو ما يوضع فى أكفان الميت من الطيب) ثم أمرت عليا ــ رضى الله عنه ــ ألا تكشف إذا قبضت ، وأن تدرج كما هى فى ثيابها . وروى عن عمارة بن المهاجر ، عن أم جعفر : أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت : ياأسماء إنى قد استقبحت ما يصنع بالنساء، أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها . فقالت أسماء : ياابنة رسول الله ﷺ ألا أريك شيئا رأيته بالحبشة ، فدعت بجرائد رطبة فحنتها ، ثم طرحت عليها ثوبا . فقالت فاطمة : ماأحسن هذا وأجمله ، تعرف به المرأة من الرجل ، فإذا مت أنا فاغسلينى أنت وعلىّ ، ولا يدخل علىّ أحد ، فلما توفيت غسلها علىّ وأسماء رضى الله عنهم .

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٤٢ .

الكلمات الأخيرة لسبط رسول الله ﷺ

« الحسن بن على » رضى الله عنهما [1]

روى عن رقبة بن مصقلة أنه قال : لما احتضر الحسن بن على قال : أخرجونى إلى الصحراء لعلّى أنظر فى ملكوت السماء ــ يعنى الآيات ــ فلما خرج به قال : « اللهم إنى احتسبت نفسى عندك فإنها أعزُّ الأنفس علىّ » .

وروى عن عمير بن إسحاق . قال : دخلت أنا ورجل على الحسن بن على نعوده . فقال : يافلان : سلنى . قال : لا والله لا نسألك حتى يعافيك الله ثم نسألك ، قال : ثم دخل ثم خرج إلينا فقال : سلنى قبل أن لا تسألنى ، فقال : بل يعافيك الله ثم أسألك . قال : لقد ألقيت طائفة من كبدى وإنى سقيت السم مرارا فلم أسق مثل هذه المرة ، ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه . وقال : يا أخى من تتهم ؟

(١) الحسن بن على بن أبى طالب ، وكنيته « أبو محمد » ، أحبه الرسول ﷺ حبا شديدا ، وكان يلاعبه صغيرا ، ويضمه ويقبله ويجلسه على فخذه ، فقد روى البخارى بسنده عن أسامة بن زيد ــ رضى الله عنهما ــ : حدث عن النبى ﷺ أنه كان يأخذه والحسن فيقول : «اللهم أحبَّهما فإنى أحبُّهما » ، وكان ــ رضى الله عنه ــ حليما ، عاقلا ، محباً للخير ، فصيحا ، من أحسن الناس منطقا وبديهة ، خلع نفسه من الخلافة لمعاوية ؛ حقنا لدماء المسلمين ، وتوفى سنة (٥٠ هـ) .

قال: لم ؟ لتقتلـه ؟ قال : نعم ! قال : إن يكن الذى أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا ، وإلا يكن فما أحب أن يقتل بى برىء ، ثم قضى (مات) رضوان الله تعالى عليه [1] .

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/٣٨ ، دار الكتاب العربى .

الصيحة الأخيرة لسيد شباب أهل الجنة « الحسين بن على » رضى الله عنهما[1] .

عندما اتجه الحسين ـ رضى الله عنه ـ وآل بيته إلى وادى الموت فى كربلاء ، والسيدة زينب وأبناؤها يحيطون به دفاعا وفداءً، مع أبنائه وأبناء إخوته ، وأصحابه . . . ومن ورائهم الصبية والنساء ، والتقى الجمعان المتباينان . . ووقف الحسين أمام أربعة آلاف من جيش ابن زياد والى الكوفة . . . . ورأى الإمام الحسين لأول وهلة نكوص القوم على أعقابهم ، وعلم أن بيعتهم له كانت بيعة الضعفاء : وأراد أن يرجع : فأبى أعداء الله إلا قتاله . . !

وأخذ الإمام يرقب هاتيك الآلاف وهى تزحف نحو أصحابه التسعين . . فلما دنوا منه دعا براحلته فركبها . . ثم نادى بأعلى صوته :

---

(١) هو سبط النبى ﷺ (ابن بنته السيدة فاطمة ، وابن ابن عمه على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ) ، ولد بالمدينة المنورة فى شعبان سنة أربع من الهجرة ، وحنكه ﷺ بريقه، وأذن فى أذنه ، ودعا له ، وسماه حسينا يوم السابع ، وعق عنه بكبش وقال لأمه: احلقى رأسه ، وتصدقى بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن ، وكنيته: أبو عبد الله، وله ألقاب كثيرة أشهرها : الزكى ، وأعلاها رتبة ما أخبر به النبى ﷺ عنه وعن أخيه الحسن : أنهما سيدا شباب أهل الجنة ؛ وكان ـ رضى الله عنه ـ أشبه الخلق بالنبى ﷺ من سرته إلى كعبه ، واستشهد ـ رضى الله عنه ـ بأرض كربلاء بعد معركة غير متكافئة بينه وبين عبيد الله بن زياد .

ــ أن اسمعوا قولى ولا تعجلوا ، ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون. إن وليّى الله الذى نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين. . وما كاد الإمام الحسين ــ رضى الله عنه ــ يقول قوله حتى تناهى إليه صوت زوجاته وأخواته وبناته ، يصحن ويبكين ، فأرسل إليهن ابنه عليا الأكبر ، وأخاه العباس ، وقال لهما :

ــ أسكتاهن ، فلعمرى ليكثرن بكاؤهن . . !! فلما سكتن ، عاد فالتفت إلى جيشِ الكوفة وقال :

ــ فانظروا من أنا ، ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها ، وانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلى ، وانتهاك حرمتى . .؟ !

ألست ابن بنت نبيكم ، وابن وصيه ، وابن ابن عمه ، وأول المؤمنين بالله. .؟! أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبى !؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيار فى الجنة عمى . . !؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض أن رسول الله ﷺ قال لى ولأخى : « أنتما سيدا شباب أهل الجنة، وقرة عين أهل السنة » . . !؟ أما فى هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمى . . !؟

وكان الرد جحودا وكفرانا . . فما كان الحسين وأصحابه يصلون صلاة الخوف حتى كانت حرب الفناء . . ووقف الحسين، ووقف أبناؤه وأصحابه وقفة الأسود لم تلن لهم قناة ، وكان الأعداء قد قطعوا عنهم الماء ،فأصابهم عطش شديد ، ولم يلبث

عليّ الأكبر أن قتل بين يدى أبيه ــ الحسين ــ شهيدا ، وتوالى الفتك بآل الحسين وأصحابه واحدا إثر واحد، وبقى الحسين وحده « فما رؤى مكسور قط ،قد قتل ولده ،وأهل بيته وأصحابه ، أربط جأشا منه ، ولا أمضى جنانا ، ولا أجرأ مقدماً » كما يقول الطبرى فى تاريخه ، وقبل أن يمضى وقد أثخنته الجراح وأوشك أن يسقط على الأرض صدرت منه تلك الصيحة الأخيرة فى الألوف المجتمعة عليه : « أعلى قتلى تجتمعون ؟ أما والله لا تقتلون بعدى عبدا من عباد الله ، الله أسخط عليكم لقتله منى . وأيم الله إنى لأرجو أن يكرمنى الله بهوانكم ، ثم ينتقم لى منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله لو قتلتمونى لألقى الله بأسكم بينكم ، وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى بذلك منكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم » .

الفصل الثالث

آخر كلمات ووصايا الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم

وصية أول الخلفاء الراشدين « أبى بكر الصديق » رضى الله عنه

لما حضر أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ الموتُ دعا عمر ــ رضى الله تعالى عنه ــ فقال له : اتق الله ياعمر ، واعلم أن لله ــ عز وجل ــ عملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لايقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا ، وثقله عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفاً ، وإن الله ــ تعالى ــ ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت : إنى لأخاف أن لا ألحق بهم ، وإن الله ــ تعالى ــ ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ورد عليهم أحسنه ، فإذا ذكرتهم قلت: إنى لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ، ليكون العبد راغبا راهبا ، لايتمنى على الله ، ولا يقنط من رحمته ــ عز وجل ــ فإن أنت حفظت وصيتى ؛ فلا يكن غائب أحب إليك من الموت ــ وهو آتيك ــ وإن أنت ضيعت وصيتى ؛ فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ــ ولست بمعجزه .

وروى ابن سعد عن شيوخه أن أبا بكر أوصى باستخلاف عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ من بعده وهذا نص عهده ـ رضى الله عنه ـ :

« بسم الله الرحمن الرحيم » ، هذا ماعهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها : حين يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وإنى لم آلُ [1] الله ، ورسوله، ودينه ، ونفسى ، وإياكم خيرا ، فإن عدل ؛ فذلك ظنى به ، وعلمى فيه، وإن بدل ؛ فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم ، والخير أردت، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

ولما أحس أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ أنه الموت ، وقد كلم فى دعاء الطبيب ، فقال ـ فيما تحدث ابن سعد ـ لقد رآنى فقال: إنى فعال لما أشاء ، يريد أن الطبيب الذى رآه إنما هو الله ـ عز وجل .

قال الرواة : وكانت عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ تحرض أباها ، فتمثلت حين رأته يحتضر قول الشاعر القديم :

---

(١) لم آلُ : لم أقصر .

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوما ، وضاق بها الصدر

فقال لها أبو بكر : ليس كذلك يا أم المؤمنين ، ولكن قول الله ــ عز وجل ــ : ﴿ **وجاءت سكرة الموت** [1] **بالحق ذلك ماكنت منه تحيد** ﴾ [2] .

وفى مرضه هذا طلب إلى عائشة أن ترد مالا كان أعطاها إياه: ليجعله فى ميراثه ؛ تحرجا من أن يؤثر أحد ورثته على غيره. وفى هذا المرض أيضا أوصى عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن يكفن فى ثوبين غسيلين (ملبوسين من قبل) كان يصلى فيهما، فلما عرضت عليه عائشة أن يكفن فى الجديد قال : إن الحى أحوج إلى الجديد من الميت ، فإنما الكفن للمُهْلَة [3] والتراب.

وهكذا عاش أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ بالحق ومات على الحق وأوصى بالحق .

---

(١) سكرة الموت : شدته .

(٢) تحيد : تميل عنه وتبتعد . سورة ق :الآية (١٩) .

(٣) المهلة : القيح وصديد الميت .

من آخر وصايا أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه

أرسل عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ بعد أن طعن وهو يصلى ، وأحس بدنو الأجل ابنه عبد الله إلى عائشة « أم المؤمنين» ــ رضى الله عنها ــ يستأذنها فى أن يدفن عمر مع صاحبيه : محمد ﷺ وأبى بكر ، فذهب عبد الله بن عمر حتى دخل على عائشة ، فوجدها قاعدة تبكى ، فلما أبلغها ما قال عمر قالت : لقد كنت اخترته لنفسى ، ولأوثرنه به اليوم ، وعاد عبد الله فأبلغ أباه أن عائشة قد أذنت له فيما أراد ، فحمد الله عمرُ ، وقال : لقد كان هذا أهم شىء إلىّ .

ثم سئل أن يستخلف فقال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ــ يريد أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ ، فقد استخلفه هو وإن أترك ، فقد ترك من هو خير منى (يريد النبى ﷺ حيث لم يستخلف أحدا) ، ثم جعل أمر الخلافة شورى بين هؤلاء الستة : على ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، ثم قال لعلى: ياعلى ، قد يعرف الناس لك صهرك وقرابتك من رسول الله ﷺ وما آتاك الله من العلم والفقه ، فإن وليت من أمر الناس شيئا فاتق الله .

وقال لعثمان : قد يعرف القوم لك سنك وصهرك من رسول

الله ﷺ ، وشرفك ، فإن وليت من أمر الناس شيئا فاتق الله ، ولا تحملن بنى أبى مُعَيْط على رقاب الناس (يريد لاتجامل بنى أمية : قومك) .

ثم قال لهم : قوموا عنى ، فلما قاموا قال : لئن ولوها الأجلح [1] ليحملنهم على الطريق ، يريد عليا ، فقال له عبد الله ابنه : فما يمنعك ياأمير المؤمنين ؟ فقال : أكره أن أحملها حيا وميتا . (أى مسؤولية الإمارة) .

ثم أمر ابنه عبد الله أن يحسب دينه لبيت المال ، فحسبه ، وحرص عمر كل الحرص على أن يصنع صنيع أبى بكر فيرد إلى بيت مال المسلمين كل ما كان قد اقترضه أو أخذه ليستعين به على العيش ورعاية مصالح المسلمين ، وكان يقول دائما ــ ولاسيما بعد أن طعن ــ : « وددت لو أخرج منها كفافا : لا علىّ ولا لى » .

ويقال إنه ــ رضى الله عنه ــ أوصى ابنه إذا هو أحس أن أباه قد شارف [2] الموت أن يجعل ركبتيه فى صلبه . وأن يضع يده اليمنى على جبينه . ويده اليسرى على ذقنه . فإذا مات فليغمضه، وأمره بالقصد فى كفنه ، فإنه إن يكن له عند الله

---

(١) يقصد عليا ــ رضى الله عنه ــ لانحسار الشعر عن جانبى رأسه .

(٢) شارف : قارب .

خير، أعطاه ما هو خير منه ، وإن يكن له عند الله غير ذلك سلَبَه ، فأسرع في سلْبه ، وأمره ألا يجعل في حنوطه [١] مسكا، وألا تتبعه امرأة ، وأن يسرعوا في المشي إذا حملوه إلى قبره ، فإن كان له عند الله خير ؛ قدموه إلى ماهو خير له ، وإن يكن غير ذلك ، وضعوا عن رقابهم شرا كانوا يحملونه ، وأمره ألا يوسعوا في حفرته ؛ لأن بيت عائشة ضيق ؛ ولأنه إن يكن له عند الله خير وسع له في قبره مد بصره [٢] ، وإن يكن غير ذلك ضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه [٣] ، ونهى ابنه أن يذكره بعد موته بما ليس فيه ؛ فإن الله هو أعلم به .

ويقول الرواة : إن الناس جعلوا يدخلون عليه أرسالا [٤] ، فيثنون عليه ؛ فقال لهم ــ حين كثر ذلك منهم ــ : أبالإمارة تغبطونني ؟ [٥] . لقد صحبت رسول الله ﷺ ؛فتوفي وهو عني راضٍ ، وصحبت أبا بكر ــ رحمه الله ــ فكنت سامعا مطيعا ؛ حتى توفي وهو عني راضٍ ، وأصبحت لا أخاف إلا إمارتكم

---

(١) الحنوط ــ بفتح الحاء وضم النون ــ: كل طيب يخلط للميت ،وقد نهى عن المسك؛ لأن السنة الكافور .

(٢) مد بصره : المدى الذي يمتد إليه بصره ليرى .

(٣) اختلفت أضلاعه : اضطربت وخالفت مكانها .

(٤) أرسالاً : جماعة بعد جماعة .

(٥) الغبطة : تمني مثل مالغيرك من نعمة ، بخلاف الحسد ، فهو تمني زوال نعمة غيرك.

هذه .

ولماسأله وفد العراق الوصية أوصاهم بتقوى الله أولا، وبالمهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم ينقصون والناس يزيدون ، وبالأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان ، وبالأعراب ، فإنهم مادة الإسلام ، وبالمعاهدين من المغلوبين فإن لهم ذمة الله، وذمة رسوله ، وذمة المسلمين .

ومما ورد في وصيته بهؤلاء أيضا ما رواه البخاري في الجنائز باب ماجاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر أنه قال :« أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين خيرا ، أن يعرف لهم حقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوؤوا الدار والإيمان أن يقبل من محسنهم ، ويعفى عن مسيئهم . وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم ،وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم » [(١)] .

ولما أحس عمر أن الموت منه قريب ، أمر ابنه عبد الله ــ وكان رأس عمر فى حجره ــ أن يضع خده على الأرض ، فقال عبد الله : وهل فخذى والأرض إلا سواء ؟ فأعاد عليه عمر أمره أن يضع خده على الأرض ، فأعاد عليه عبد الله جوابه ، فقال له فى الثانية أو فى الثالثة : ضع خدى على الأرض لا أم لك

---

(١) صحيح البخارى ٣/ ٢٥٦ .

(والمراد عجبا لك) فلما وضع عبد الله خده على الأرض جعل يقول : «ليتنى لم أكن شيئا ، ليتنى كنت نسيا منسياً [١] ، ويلى ، وويل أمى [٢] إن لم يغفر الله لى »، ومازال يكرر هذه الكلمة ؛ حتى مات ــ رحمه الله .

وكان عمر ــ رضى الله عنه ــ شديد الكره للبكاء عليه ، سمع حفصة ــ أم المؤمنين ــ ترفع صوتها بالبكاء فقال لابنه عبد الله : أجلسنى ؛ فليس لى صبر على ما أسمع ، ثم قال لها: إنى أحرج عليك (أى أضيق عليك) بما لى عليك من الحق؛ أن تندبينى (أى أن تبكى على وتذكرى محاسنى) ، فأما عينك فلن أملكها (أى لا أمنعها من البكاء) .

---

(١) كنت نسيا منسيا : كنت شيئا تافها ينساه الناس عادة .

(٢) ويلى ، وويل أمى . الويل : العذاب ،ويقال: ويلى وويل أمى ، ونحو ذلك عند التفجع والإحساس بخطر أو شر .

الكلمات الأخيرة فى حياة ذى النورين
« عثمان بن عفان » رضى الله عنه

كان الخليفة الثالث عثمان بن عفان من الصحابةالعشرة المبشرين بالجنة، ومع هذا فقد انكب على العبادات قانتا آناء الليل، خائفا من المصير فى اليوم الآخر، راجيا رحمة الله ــ تعالى ــ ورضاه ، ولما تدافع الغوغاء لقتله صاحت امرأته فيهم : « إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيى الليل كله فى ركعة يجمع فيها القرآن » .

قال ابن عمر : أصبح عثمان يحدث الناس قال : « رأيت رسول الله ﷺ الليلة فى المنام فقال : أفطر عندنا غدا ، فأصبح صائما ، وقتل من يومه » .

وروى عن هارون بن يحيى أن عثمان جعل يقول ــ حين ضرب والدماء تسيل على لحيته : « لا إله إلا أنت ، سبحانك ، إنى كنت من الظالمين ، اللهم إنى أستهديك وأستعينك على جميع أمورى ، وأسالك الصبر على بليّتى » .

وروى عن عبد الله بن سلام أنه قال: لما حضر قتل عثمان ــ وهو يتشّحط فى دمه ــ جعل يقول: « اللهم اجمع أمة محمد» . والذى نفسى بيده لو دعا الله ــ عز وجل ــ على تلك الحال أن لا يجتمعوا أبدا ، ما اجتمعوا إلى يوم القيامة .

من آخر كلمات باب مدينة العلم والعلوم

« على بن أبى طالب » كرم الله وجهه

وأما رابع الخلفاء الراشدين ، وابن عم رسول الله ﷺ الذى نام فى فراشه ليلة الهجرة المباركة لرد الودائع إلى أهلها ، ومن تربى فى حجر رسول الله ﷺ ، فقد كان الاستسلام والانقياد شأنه ، والتبرؤ من الحول والقوة مكانه ، وقد كان ــ رضوان الله عليه ــ إذا لزمه فى العيش الضيق والجهد ، أعرض عن الخلق ، فأقبل على الكسب والكد ، وكان بذات الله عليما ، وعرفان الله فى صدره عظيما ، زاهدا فى الدنيا ، شجاعا ، خطيبا بارعا ، عادلا ، تقياً .

ومما يروى من آخر كلماته ــ رضى الله عنه ــ ما قاله الشعبى : لما ضرب ابن ملجم عليا تلك الضربة أوصى به على فقال : قد ضربنى فأحسنوا إليه ، وألينوا له فراشه ، فإن أعش؛ فهضم أو قصاص ، وإن أمت ؛ فعاجلوه ؛ فإنى مخاصمه عند ربى ــ عز وجل ــ ، وزاد غيره : فإن بقيت ؛ قتلت أو عفوت، وإن مت ؛ فاقتلوه قتلتى ، ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين.

وقال الإصبع الحنظلى : لما كانت الليلة التى أصيب فيها على ــ كرم الله وجهه ــ أتاه ابن البتاح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل ، فعاد الثانية وهو كذلك ، ثم عاد

الثالثة فقام يمشى وهو يقول :

ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه .

قال القرشى : وحدثنى عبد الله بن على أن عليا لما ضرب أوصى بنيه ، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله ، حتى قبضه الله ــ تبارك وتعالى .

وقال عتبة بن أبى الصهباء : لما ضرب ابن ملجم عليا دخل عليه الحسن وهو باك ، فقال له على : يابنى احفظ عنى أربعا وأربعا . قال : وماهن ياأبت ؟ قال : أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الكرم حسن الخلق . قال: فما الأربع الأخر ؟ قال : إياك ومصاحبة الأحمق؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب؛ فإنه يقرب عليك البعيد ، ويبعد عنك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل ؛ فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر ؛ فإنه يبيعك بالتافه » .

بهذه الكلمات الحكيمة تنطوى صفحة من أروع صفحات تاريخنا الإسلامى المجيد .

الفصل الرابع
الوصايا والكلمات الأخيرة لبعض الصحابة رضى الله عنهم

الكلمات الأخيرة لأول شهيد فى الحرب فى الإسلام
« عمير بن الحمام » ـ رضى الله عنه [1]

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ فى معركة بدر:« قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» . فقال عمير بن الحمام الأنصارى : يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟! قال : « نعم » . قال : بخ بخ[2]. فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قولك : بخ بخ » ؟! قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها . قال: « فإنك من أهلها » . فأخرج تمرات من قرنه [3] ، فجعل يأكل منهن ثم قال : « لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة » فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[4].

---

(١) هو عمير بن الحمام بن الجموح الأنصارى السلمى ، وهو صحابى جليل شهد غزوة بدر وكان أول شهيد فى سبيل الله فى الحرب .

(٢) « بخ بخ » : فيه لغتان : إسكان الخاء وكسرها منوناً وهى كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه فى الخير .

(٣) قرنه : أى جعبة النشاب (أى جعبة سهامه) .

(٤) رواه مسلم .

الرسالة الأخيرة لشهيد أحد

« سعد بن الربيع » رضى الله عنه [1]

قال يحيى بن سعيد : لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ : « من يأتينى بخبر سعد بن الربيع ؟» فقال رجل : أنا يارسول الله ، فذهب الرجل يطوف بين القتلى ،فقال له سعد بن الربيع : ماشأنك ؟! قال : بعثنى النبى ﷺ لآتيه بخبرك . فقال له سعد : فاذهب إليه فأقرئه منى السلام ، وأخبره أنى قد طُعنت اثنتى عشرة طعنة وأن قد أُنفذَت مقاتلى ، وأخبر قومك أنه لاعذر لهم عند الله إن قُتل رسولَ الله ﷺ وأحد منهم حى [2] .

وهكذا كان شغل أصحاب رسول الله ﷺ الشاغل حرصهم على حبيبهم محمد ﷺ ، وعلى الدعوة التى آمنوا بها ، حتى آخر نفس لهم فى هذه الحياة ــ رضى الله عنهم جميعا .

---

(١) هو سعد بن الربيع بن عمرو من بنى الحارث بنى الخزرج ، وهو من كبار صحابة رسول الله ﷺ ، وكان أحد النقباء يوم العقبة ، وشهد بدرا ، واستشهد يوم أحد سنة (٣ هـ) .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ .

الكلمات الأخيرة للشهيد المجدع فى الله
«عبد الله بن جحش» رضى الله عنه [1]

كان عبد الله بن جحش يتطلع إلى الشهادة فى غزوة بدر التى شارك فيها مشاركة مجاهد حريص على لقاء الله ، ولكنه لم يمت فى تلك الغزوة بل لقى الله ــ تعالى ــ فى غزوة أحد ، وفى الليلة التى سبقت المعركة كان يجلس مع سعد بن أبى وقاص يتمنى كل منهما على الله أمنية ، قال سعد : يارب إذا لقيت العدو غدا فلقنى رجلا شديدا بأسه ، شديدا مرده (أى غضبه) أقاتله فيك ويقاتلنى ، ثم ارزقنى عليه الظفر حتى أقتله وآخذ سلبه . . . أما عبد الله بن جحش فقد دعا الله قائلا : اللهم ارزقنى غدا رجلا شديدا بأسه ، شديدا مرده أقاتله فيك ويقاتلنى ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى . . فإذا لقيتك قلت : ياعبد الله فيم جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول : فيك وفى رسولك. فتقول : صدقت .

وفى الصباح بعد أن حمى وطيس المعركة استشهد عبد الله ابن جحش كما تمنى .

---

(١) هو عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدى ، وهو صحابى قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وكان من أمراء السرايا ، وهو صهر رسول الله ﷺ فهو أخو السيدة زينب أم المؤمنين ، وقد استشهد يوم أحد ، وأطلق عليه لقب : «المجدع فى الله » وقد قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق وقطع أذنه وأنفه وعلقهما فى خيط ، ولما رآه الصحابة بعد المعركة على هذه الحال قالوا : أجاب الله دعوته ، وأمر الرسول ﷺ بأن يدفنوه مع خاله حمزة بن عبد المطلب .

الكلمات الأخيرة لأبى عمرو

« سعد بن معاذ » رضى الله عنه (1)

دعا سعد ربه وهو ينزف دما على إثر سهم قذفه به أحد المشركين فى غزوة الخندق ، بعد أن حُمل إلى مسجد الرسول ﷺ وقال : « اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ؛ فإنه لاقوم أحب إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك ، وكذبوه، وأخرجوه . . . وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعل ما أصابنى اليوم طريقا للشهادة . . . ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة » .

واستجاب الله ــ تعالى ــ دعاءه ، فكانت هذه الإصابة طريقه إلى الشهادة إذ لقى ربه بعد شهر ، متأثرا بجراحه بعد أن حكم فى بنى قريظة بحكم الله ، وعندما جاءت لحظاته الأخيرة ، وقد حضره الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر فحاول سعد ــ رضى الله عنه ــ أن يفتح عينيه فى جهد راجياً أن يكون وجه رسول الله ﷺ آخر ما تبصره عيناه فى الحياة وقال : « السلام عليك يارسول الله . . . أما إنى لأشهد أنك رسول الله » . وفاضت روحه الشريفة .

---

(1) هو أبو عمرو : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ، أسلم على يد مصعب ابن عمير ، وأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل ، وشهد بدرا وأحدا ، وثبت مع رسول الله ﷺ ، ورمى يوم الخندق وتوفى سنة (٥هـ) ، وكان أحد زعيمى أهل المدينة مع سعد بن عبادة شيخ الأنصار ــ رضى الله عنهم جميعا .

ابتهال النهاية للبطل الشهيد

« خبيب بن عدى » رضى الله عنه [1]

تناوشت الرماح والسيوف جسد البطل المؤمن « خبيب بن عدى » ـ رضى الله عنه ـ فى جنون ووحشية ، وقد صلبه المشركون حقدا وبغيا وعدوانا ،. وهو لايبالى بالموت ليقينه بما عند الله من الفوز والنعيم ، وعندما رفعوه إلى جذوع النخل التى صنعوا منها صليبا ، وشدوا عليه الوثاق ، يمم وجهه شطر السماء وابتهل إلى ربه العظيم قائلا : « اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة مايصنع بنا » ، واستجاب الله دعاءه ، فأحس رسول الله ﷺ بما حدث له، فأرسل إليه المقداد بن عمرو والزبير بن العوام لينزلا جثمانه حيث كانت بقعة طاهرة من الأرض فى انتظاره لتضمه تحت ثراها الرطب . وكان خبيب ـ رحمه الله ـ قد صلى ركعتين فى خشوع وسلام وإخبات ، وود لو ظل يصلى، لكنه التفت إلى قاتليه قائلا لهم : « والله لولا أن تحسبوا أن بى جزعا من الموت لازددت صلاة » . ثم شهر ذراعيه نحو

---

(١) اسمه : خبيب بن عدى الأنصارى من الأوس ، وقد شهد بدرا واستشهد فى عهد النبى ﷺ ،وقد سئل وهو يعذب ويصلب أتحب أن محمدا مكانك ، وأنت سليم معافى فى أهلك ؟ فأجاب قاتليه منتفضا كالإعصار : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى، معى عافية الدنيا ونعيمها ، ويصاب رسول الله بشوكة .

السماء وقال : اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا . . ولا تبق منهم أحدا .

ثم تصفح وجوههم فى عزم وراح ينشد :

ولست أبـــالى حـين أقتـل مسـلـما

عـلى أى جـنب كان فى الله مصـرعى

وذلـك فـى ذات الإلـه وإن يشـأ

يبارك على أوصال [١] شلو [٢] ممزع [٣]

---

(١) أوصال : جمع وصل وهو العضو .

(٢) شلو : جسد .

(٣) ممزع : مقطع .

الكلمات الأخيرة لشهيد اليمامة

« ثابت بن قيس بن شماس» رضى الله عنه [1]

روى الحاكم فى المستدرك عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال: جاء ثابت بن قيس يوم اليمامة ، وقد تحنط ، ولبس أكفانه ، وقد انهزم أصحابه وقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء (يعنى الأعداء)، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعنى المنهزمين) ؛ فبئس ما عودتم أقرانكم. خلوا بيننا وبين أقراننا ساعة. ثم حمل فقاتل ساعة فقُتل.

---

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس الخزرجى الأنصارى ، وهو صحابى جليل كان خطيب رسول الله ﷺ ، شهد أحدا وما بعدها من المشاهد ، واستشهد فى معركة اليمامة سنة (١٢ هـ) .

وصية أمين الأمة « أبى عبيدة عامر بن الجراح » رضى الله عنه قبل وفاته (١)

لما أحس أبو عبيدة بالموت أوصى بقوله : « أقرئوا أمير المؤمنين السلام ، وأعلموه أنه لم يبق من أمانتى شىء إلا وقد قمت به وأديته إليه ، إلا ابنة خارجة نكحت فى يوم بقى من عدتها لم أكن قضيت فيها بحكومة ، وقد كان بعث إلى بمائة دينار فردوها إليه » ؛ فقالوا له : إن فى قومك حاجة ومسكنة ؛ فقال: ردوها إليه . وادفنونى حيث قضيت (أى مت) ، فإنى أتخوف أن يكون سُنّة (أى يعتاد الناس ذلك من بعده) .

وكأنه أراد ــ رضى الله عنه ــ ألا يفتح بابا لتعيين القبور وإقامة الأنصاب حولها ؛ لأن الخلود فى الإسلام ليس خلود قبور وأجداث ؛ ولكنه خلود الذكر الحميد بين الناس .

وفى رواية عن سعيد المقبرى قال : لما طعن أبو عبيدة بن الجراح بالأردن دعا من حضره من المسلمين فقال:

« إنى موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير : أقيموا الصلاة ،وآتوا الزكاة،وصوموا شهر رمضان،وتصدقوا، وحجوا

(١) اسمه : عامر بن عبد الله بن الجراح ، وكنيته : أبو عبيدة ، وهو صحابى من العشرة المبشرين بالجنة لقبه الرسول ﷺ بلقب أمين الأمة ، وشهد المشاهد كلها وتوفى ــ رضى الله عنه ــ بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ .

واعتمروا ،وتواصوا ، وانصحوا لأمرائكم ولاتغشوهم ، ولا تلهكم الدنيا ، فإن امرأ لو عمر ألف حول ، ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون . . الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون ، وأكيسهم أطوعهم له ، وأعملهم ليوم معاده ؛ والسلام عليكم ورحمة الله . . . يامعاذ بن جبل ، صل بالناس» .

ومات أبو عبيدة . . مات البطل العربى الإسلامى ، مات القائد الفاتح ، والأمير المؤمن العظيم !

وكأن القضاء استجاب لرغبة أبى عبيدة ؛ فلم يتعين قبره بيقين (وإن كان يقال : إن قبر أبى عبيدة موجود بجامع الجراح بدمشق) حتى لا يكون ذلك سنة من بعده ، وحتى تظل سيرة أبى عبيدة العاطرة شذاً يتردد معطرا للآفاق ، فيكون أليق بأبى عبيدة وأنفع لطلاب العظة والذكرى من ألف قبر وألف تمثال .

الكلمات الأخيرة للصحابى

« معاذ بن جبل » رضى الله عنه [1]

لما حان أجل معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ ودعى للقاء الله ـ تعالى ـ وفى سكرات الموت تنطلق عن العقل الباطن حقيقة كل حى ، وتجرى على لسانه ـ إن استطاع الحديث ـ كلمات تلخص أمره وحياته .

فى تلك اللحظات قال معاذ بن جبل كلمات عظيمة ، تكشف عن إيمان عظيم ، وعن شخصية مؤمنة بالله ورسوله ، حق الإيمان ، فقد كان يحدق فى السماء ويقول مناجيا ربه الرحيم: « اللهم إنى كنت أخافك ، لكننى اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا ،وطول البقاء فيها لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار . . ولكن لظمأ الهواجر،ومكابدة الساعات، ونيل المزيد من العلم،والإيمان والطاعة،أو قال : ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ».

وبسط يمينه كأنه يصافح الموت وراح فى غيبوبته يقول : «مرحباً بالموت . . حبيب جاء على فاقة» .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصارى الخزرجى ، وهو صحابى جليل كان عالما بالحلال والحرام ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبى ﷺ،شهد بيعة العقبة مع الأنصار السبعين ، وشهد بدرا وبقية المشاهد ، وبعثه الرسول ﷺ معلما ومرشدا وقاضيا لأهل اليمن ، ثم كان مع أبى عبيدة بن الجراح فى غزو الشام ، ولما أصيب أبو عبيدة بالطاعون ، استخلفه وأقره عمر ، وتوفى سنه (١٨هـ) .

الكلمات الأخيرة لمؤذن الرسول ﷺ
« بلال بن رباح » رضى الله عنه [1]

ترك بلال يثرب متجها مع القافلة إلى الشام ، وبعد سفر طويل بلغت القافلة الشام فاتجه بلال إلى داره وراح يستريح من وعثاء الطريق. واستأنف بلال حياته فى الشام ، وفى يوم من الأيام أحس ضعفا واعتلالا ، فلزم داره .

وازداد الضعف على الأيام ، وجلست زوجه بجواره تمرضه، فوجدته يلتقط أنفاسه بصعوبة ، وفتح عينيه فسألته : كيف تجدك؟ . فغمغم : دنا الفراق. وكأنه يرى أناسا يحبهم ويحبونه وقفوا عند فراشه ينتظرونه . هذا محمد ، وهذا أبو بكر، وهؤلاء أصحابهما الراحلون،كأنهم يدعونه ليلحق بهم ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة مالبثت أن اختفت ثم زفر زفرة شديدة ، وأسبل عينيه ، وألقى رأسه على صدره ، فصكت زوجه وجهها وهتفت: وا حزناه ! ففتح عينيه وهو يجود بأنفاسه الأخيرة قائلا: بل وا فرحتاه ! . . غدا نلقى الأحبة : محمدا وصحبه .

---

(١) اسمه : بلال بن رباح الحبشى ، وكنيته : أبو عبد الله . من السابقين للإسلام ، وهو مؤذن الرسول ﷺ شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان خازنه على بيت ماله ، وكان يفخر بالإسلام الذى حرره من العبودية لغير الله ، وقد أوذى فى سبيل عقيدته إيذاء شديدا فاشتراه أبو بكر ــ الصديق رضى الله عنه ــ وأعتقه فكان يردد والدموع تسيل من عينيه : « إنما أنا حبشى . . كنت بالأمس عبداً » ، وبعد وفاة النبى ﷺ خرج بلال مع البعوث ، وتوفى فى دمشق سنة (٢٠هـ) مرابطا فى سبيل الله كما كان يتمنى ذلك ــ رضى الله عنه .

وصية الشاعر أبى على « قيس بن عاصم التميمى » لولده عند موته [1]

روى أحمد فى مسنده : قال مطرف بن الشخير عن حكيم ابن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى ولده عند موته قال : اتقوا الله ـ عز وجل ـ وسودوا أكبركم ؛ فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم . . . فذكر الحديث ، وإذا مت فلا تنوحوا علىّ فإن رسول الله ﷺ لم ينح عليه .

(١) هو أحد أمراء العرب وعقلائهم ، كان شاعرا شجاعا ، حليما ، سيدا فى الجاهلية وقد وفد على النبى ﷺ وأسلم سنة (٩هـ) ، واستعمله على صدقات قومه ، وتوفى سنة (٢٠هـ) .

كلمات خالدة لسيف الله المسلول

« خالد بن الوليد » رضى الله عنه عند وفاته (١)

نام البطل العظيم ــ الذى لم يهدأ ولم يسترح ــ نومة الموت، وآن لجسده المجهد أن يسترخى ، وهو الذى كان يصفه أصحابه وأعداؤه بأنه : « الرجل الذى لاينام ، ولايترك أحدا ينام» .إنه سيف الله الذى سله على المشركين ،خالد بن الوليد ــ رضى الله عنه .

كانت مأساة حياته ــ فى رأيه ــ أن يموت على فراشه ؛ وهو الذى قضى حياته كلها فى المعامع ، وفوق ظهر جواده ، وتحت بريق سيفه ، وهو الذى غزا مع رسول الله ﷺ ، وقهر أصحاب الردة ، وسوى بالتراب عرشى فارس والروم ، وجاب الأرض وثباً فى العراق حتى فتحها للإسلام ، وفى بلاد الشام حتى فتحها قائدا ثم جنديا ، لذلك نسمعه ، بل وتتردد كلماته فى مسامع

---

(١) اسمه : خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب، وقد هاجر مسلما فى شهر صفر سنة ثمان ، وكانت حياته حافلة بالشجاعة والبطولة والانتصارات ، وكان قائدا إسلاميا عظيما ، شهد غزوة مؤتة ، وأخذ الراية بعد استشهاد الأمراء الثلاثة ، وقاد الجيش إلى النصر ، فسماه الرسول : سيف الله. وحاصر دمشق وافتتحها هو وأبو عبيدة ، وتوفى بحمص سنة (٢١هـ) ودفن بها ، وروى أنه لم يترك بعد موته إلا فرسه وسلاحه وغلامه ، فقال عمر : رحم الله أبا سليمان ، كان على ماظنناه به .

الزمن دائما وهو يغمض عينيه ليفارق الدنيا : لقد شهدت كذا وكذا زحفا ، وما فى جسدى موضع إلا وفيه ضربة سيف ، أو طعنة رمح ، أو رمية سهم ، ثم هأنذا أموت على فراشى حتف أنفى ، كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

مشهد الختام

فى حياة « أبى ذر الغفارى » رضى الله عنه [1]

جلست أم ذر بجوار زوجها الصحابى الجليل أبى ذرالغفارى تبكى ، وهو يعالج سكرات الموت ، فنظر إليها قائلا : فيم البكاء، والموت حق ؟ فتجيبه بأنها تبكى لأنه يموت ، وليس لها ثوب يسعه كفناً ، ولا تملك تكفينه ، وليس لأبى ذر ثوب يسعه كفناً ، فأشار إليها أن اطمئنى قائلا : لاتبكى ؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ ذات يوم وأنا عنده فى نفر من أصحابه يقول : «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض ، فتشهده عصابة من المؤمنين » .

وكل من كان معى فى ذلك المجلس مات فى جماعة وقرية ، ولم يبق منهم غيرى ، وهأنذا بالفلاة أموت ، فراقبى الطريق. . . فستطلع علينا عصابة من المؤمنين ، فإنى والله ما كَذبَت ولا كُذِبت .

وفاضت روحه إلى الله ــ تعالى ــ وقد صدق ، وصدق رسول الله ﷺ .

---

(١) اسمه : جندب بن جنادة ، وهو من أوائل من أسلم ، ومن كبار صحابة رسول الله ﷺ ، وأول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام ، وكان دائما يحرض الأغنياء على إشراك الفقراء معهم فى أموالهم بدفع الزكاة إليهم ، ويحذرهم من اكتناز الذهب والفضة ، واشتهر رضى الله عنه بالورع والعبادة والدفاع عن الحق ، والاقتداء بالرسول ﷺ ، والتفوق على مغريات الإمارة والثروة . وتوفى فى الربذة، ذلك المكان الذى اختار الإقامة فيه إثر خلافه مع عثمان رضى الله عنه وكان ذلك سنة (٣٢هـ) .

كلمات فى نهاية المطاف للصحابى الزاهد

« أبى الدرداء » رضى الله عنه [1]

ظل أبو الدرداء ــ رضى الله عنه ــ فى دمشق يعظ أهلها ، ويذكرهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، حتى أتاه اليقين ، فلما مرض مرض الموت ، دخل عليه أصحابه فقالوا : ما تشتكى ؟ قال : ذنوبى . قالوا : وما تشتهى ؟ . قال : عفو ربى ، ثم قال لمن حوله : لقنونى : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، فما زال يرددها حتى فارق الحياة .

وقد روى عن أم الدرداء أن أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول: من يعمل لمثل يومى هذا ؟ من يعمل لمثل ساعتى هذه ؟ من يعمل لمثل مضجعى هذا ؟ ثم يقول : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة** ﴾ [2] .

---

(١) هو عويمر بن مالك الخزرجى الأنصارى ،وكنيته · أبو الدرداء ، كان يعمل فى التجارة قبل بعثة النبى ﷺ ثم اشتغل بتجارة أكثر ربحا هى تجارته مع الله ــ تعالى ــ بعد أن أسلم ، حيث انقطع للعبادة ، واشتهر بالشجاعة والفروسية والحكمة ، والنسك ، وكان زاهدا ، ورعا ، تقيا ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً فى عهد النبى ﷺ،أقام بدمشق حين أرسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى الشام ليعلمهم دينهم ، فكان من أقواله لهم : ياأهل دمشق مالى أراكم تجمعون مالا تأكلون ، وتبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا تبلغون !! لقد جمعت الأقوام التى قبلكم وأملت ، فما هو إلا قليل حتى أصبح جمعهم بورا ، وأملهم غرورا ، وبيوتهم قبورا . . هذه عاد ــ ياأهل دمشق ــ قد ملأت الأرض مالا وولدا ، فمن يشترى منى تركة عاد اليوم بدرهمين ؟ وتوفى سنة (٣٢هـ) ــ رضى الله عنه .

(٢) سورة الأنعام : (الآية ١١٠) .

الوصية والكلمات الأخيرة للصحابى المجاهد بنفسه وماله «عبد الرحمن بن عوف» رضى الله عنه [1]

كان عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ مثالا للتاجر الصدوق ، المنفق لماله فى سبيل الله ، فلعل تجار يومنا يحاولون السير على طريقه . . فيبذلون من أموالهم ولو قليلا لسد حاجة المحتاجين ، ودفع البؤس عن البائسين .

لم يكتف عبد الرحمن بما قدم فى حياته من تضحية وبذل لنفسه وماله فى سبيل إعلاء دين الله ، وسد حاجة المحتاجين ، بل أوصى بألف فرس ، وخمسين ألف دينار فى سبيل الله ، ثم أغمى عليه وبعد إفاقته قال : أغشى علىّ ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه أتانى ملكان فيهما فظاظة وغلظة ، فانطلقا بى ، ثم أتانى ملكان هما أرق منهما وأرحم ، فقالا : أين تريدان به ؟ قالا : نريد به العزيز الأمين . قالا : خليا عنه ، فإنه ممن كتبت له السعادة وهو فى بطن أمه . وبينما كانت روحه تتهيأ لرحلتها الجديدة كانت عيناه تفيضان من الدمع، ولسانه يتمتم ويقول: «إنى أخاف أن أحبس عن أصحابى لكثرة مالى» .

---

(١) كان اسمه فى الجاهلية : عبد عمرو ، فسماه الرسول ﷺ حين أسلم : عبد الرحمن وهو ابن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب فهو زهرى قرشى ، وكنيته: أبو محمد ، وهو من أكابر الصحابة ، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام ، باع الدنيا كلها من أجل دينه ونصرته ، فأقبلت عليه بكل طيباتها ، ولد قبل عام الفيل بعشر سنين ، وكان ثامن من أسلم والدعوة يومها لم تتخذ مقرا لها بعد ، وهاجر إلى الله الهجرتين : إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وأبى إلا أن يعمل فى سوقها بالتجارة، وجعل ماله للفقراء والمحتاجين ، وقد بشره الرسول ﷺ بدخول الجنة جزاء جهاده وجوده . وتوفى سنة (٣٢هـ) .

الكلمات الأخيرة لأبى الوليد
« عبادة بن الصامت » رضى الله عنه [1]

دخل عليه أحد أصحابه ، وهو فى سكرات الموت ، فلما رآه كذلك بكى بكاء شديدا ، فنظر إليه عبادة قائلا : مهلا . . لم تبكى ؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ، ولئن شفعت لأشفعن لك ، ولئن استطعت لأنفعنك ، ثم استطرد قائلا : والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا ، وسوف أحدثكموه اليوم ، وقد أحيط بنفسى (أى قربت من الموت وأيست من الحياة والنجاة) ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ؛ حرم الله عليه النار » [2] .

وهكذا أبت نفس هذا الصحابى الجليل أن تخرج من جسدها حتى تؤدى حق الله ورسوله فى تبليغ الدعوة على أتم وجه وأكمله ــ رضى الله عنه .

---

(1) اسمه : عبادة بن الصامت الأنصارى من الخزرج ، وهو صحابى جليل كان ورعا ، تقيا ، شهد بيعة العقبة ، وكان أحد النقباء ، وشهد بدرا وبقية المشاهد ، ثم حضر فتح مصر ، وكان أول من ولى القضاء بفلسطين ، وتوفى سنة (٣٤هـ) .

(2) رواه مسلم بسنده .

الكلمات الأخيرة للصحابى العبقرى

« حذيفة بن اليمان » رضى الله عنه [1]

لما دعى الصحابى العبقرى حذيفة بن اليمان للقاء الله ــ تعالى ــ وقد تهيأ للرحلة الأخيرة ، دخل عليه بعض أصحابه فسألهم : أجئتم معكم بأكفان ؟ قالوا : نعم . قال : أرونيها .. فلما رآها وجدها جديدة فارهة فقال ساخرا : ماهذا لى بكفن .. إنما يكفينى لفافتان بيضاوتان ليس معهما قميص ، فإنى لن أترك فى القبر إلا قليلا ، حتى أبدل خيرا منهما أو شرا منهما .. ، وتمتم بكلمات سمعها من حضره عند رحيله للآخرة : مرحبا بالموت .. حبيب جاء على فاقة .. لا أفلح من ندم .. الحمد لله الذى سبق بى الفتنة قادتها وعلوجها .

وقيل إنه سئل : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى الجنة . قالوا : فما تشتكى ؟ قال : الذنوب. قالوا : أفلا ندعولك الطبيب ؟ قال: الطبيب أمرضنى. لقد عشت فيكم على خلال ثلاث : الفقر فيكم ، أحب إلىّ من الغنى ، والضعة فيكم ، أحب إلى من الشرف ، وإن من حمدنى منكم ولامنى فى الحق سواء.... اللهم إنى أعوذ بك من صياح النار .... لا أفلح من ندم .

---

(١) هو أبو عبد الله : حذيفة بن حسن العبسى ، من الولاة الشجعان الفاتحين ، وكان صاحب سر النبى ﷺ فى المنافقين ، لم يعلمه أحد غيره ، وقد ولاه عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ على المدائن ، وهاجم نهاوند فصالحه أهلها وافتتح عدة بلاد، وكان عبقريا فى حكمته ، وفى فدائيته ، وفى كل مهمة توكل إليه ، ومشورة تطلب منه ، وتوفى سنة (٣٦هـ) .

الكلمات الأخيرة للباحث عن الحقيقة

« سلمان الفارسى » رضى الله عنه [1]

كان سلمان الفارسى ــ رضى الله عنه ــ قد هم أن يُبنى له بيت ، فسأل البناء : كيف ستبنيه ؟ وكان البنّاء حصيفا ذكيا ، يعرف زهد سلمان وورعه . . فأجابه قائلا : « لاتخف . . . إنها بناية تستظل بها من الحر ، وتسكن فيها من البرد ، إذا وقفت فيها أصابت رأسك ، وإذا اضطجعت فيها أصابت رجلك » ! فقال له سلمان : « نعم ، هكذا فاصنع » ! ولم يكن سلمان ــ رضى الله عنه ــ يحرص من طيبات الدنيا على شىء ، ولم تتعلق نفسه بشىء إلا شيئا واحدا كان شديد الحرص عليه ، وقد ائتمن عليه زوجته ، وطلب إليها أن تخفيه فى مكان بعيد وأمين ، وفى مرض موته ، وفى صبيحة اليوم الذى قبض فيه ناداها ، وطلب منها أن تفتح الأبواب الأربعة للعلية التى كان يأوى إليها قائلا : إن لى اليوم زوارا لا أدرى من أى هذه الأبواب يدخلون علىّ . ثم قال لها : « هلمى خبيّك التى استخبأتك » ، فجاءت بها ،

(١) هو سلمان الفارسى ، من أصل غير عربى ، فهو من مجوس أصبهان ، جاء إلى بلاد العرب ووقع فى العبودية ، واشتراه رجل من قريظة ، وقدم به إلى المدينة ، أسلم وحسن إسلامه ، وصار عالما بالشرائع ، باحثا عن الحقيقة ، وكان صحيح الرأى وقد أخذ الرسول ﷺ برأيه فى حفر الخندق ، وجُعل أميرا على المدائن ، وتوفى سنة (٣٦هـ) ــ رضى الله عنه .

وإذا هى صرة مسك ، كان قد أصابها يوم فتح « جلولاء » فاحتفظ بها لتكون عطره يوم مماته ، وطلب منها أن تذيبه بالماء وتخلطه فى إناء صغير ، وحركه بيده ، وقال لزوجته : « انضحيه حولى .. فإنه يحضرنى الآن خلق من خلق الله ، لا يأكلون الطعام ، وإنما يحبون الطيب » .

فلما فعلت ما أمرها به قال لها : « انزلى فامكثى فسوف تطلعين فترينى على فراشى » . ففعلت ما أمرها به ... وبعد حين صعدت إليه فإذا روحه المباركة قد فارقت جسده ودنياه ، وكأنه نائم على فراشه .

الكلمات الأخيرة لأستاذ فن الفداء

« خباب بن الأرت رضى الله عنه [1]

لما مرض خباب بن الأرت ــ رضى الله عنه ــ وجاء عواده يلتفون حوله ، وقالوا له : أبشر يا أبا عبد الله ، فإنك ملاق إخوانك غدا ، فنظر إليهم وهو يبكى وقال لهم : « أما إنه ليس بى جزع . . . ولكنكم ذكرتمونى أقواما ، وإخوانا ، مضوا بأجورهم كلها لم ينالوا من الدنيا شيئا . . . . وإنا بقينا بعدهم حتى نلنا من الدنيا مالم نجد له موضعا إلا التراب . .

وأشار إلى داره المتواضعة التى بناها بالكوفة ، ثم أشار مرة أخرى إلى المكان الذى فيه أمواله ــ وكان يضع أمواله فى مكان يعرفه أصحابه ورواده وكل من وقعت به حاجة كان يذهب فيأخذ من هذا المال حاجته ــ نظر وقال : « والله ما شددت عليها من خيْط ، ولامنعتها عن سائل » .

ثم التفت إلى كفنه الذى كان قد أُعد له ، وكان يراه ترفا

---

(١) كان خباب بن الأرت يصنع السيوف لأهل مكة ، عذب فى الله فى صدر الدعوة إلى الإسلام ، فصبر صبرا جميلا ، وواجه كبرياء قريش وعنفها وجنونها بعزة وصمود وكان عبدا لأم أنمار ، ثم أعتقته بعد أن اشتركت مع قريش فى تعذيبه بالحديد المحمى الملتهب ، وكان مرجعا فيما يتصل بالقرآن حفظا ودراسة ، وكان يدرسه لفاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد ، وقد شهد جميع الغزوات مع رسول الله ﷺ،وتوفى سنة (٣٧هـ) .

وإسرافا، فقال والدموع تسيل من عينيه: « انظروا .. هذا كفني.. لكن حمزة عم رسول الله ﷺ لم يوجد له كفن يوم استشهد إلا بردة ملحاء .. إذا جعلت على رأسه قلصت عن قدميه ، وإذا جعلت على قدميه قلصت عن رأسه » !

الكلمات الأخيرة للصحابى المجاهد
« عمار بن ياسر » رضى الله عنه [1]

لما كانت معركة « صفين » وكان عمار ــ رضى الله عنه ــ مع على ــ كرم الله وجهه ــ أتى بلبن فشربه ، ثم قال : إن النبى ﷺ قال : « هذه آخر شربة أشربها من الدنيا » . فقام فقاتل حتى قُتل .

وعن أبى سنان الدؤلى صاحب رسول الله ﷺ قال : رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأوتى بقدح من لبن فشرب منه ، ثم قال : صدق الله ورسوله ، اليوم ألقى الأحبة : محمدا وحزبه ؛ إن رسول الله ﷺ قال : « إن آخر شىء تزوده من الدنيا ضيحة لبن » [2] ،ثم قال : « والله لو هزمونا حتى يبلغونا سعفات هجر، لعلمنا أنا على حق وهم على باطل » .

---

(١) هو عمار بن ياسر الكنانى وكنيته : أبو اليقظان ، وهو من الولاة الشجعان أصحاب الرأى ، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والمجاهرين به ، وأمه سمية أول شهيدة فى الإسلام ، وقد بشره الرسول ﷺ مع أسرته بالجنة حيث لقوا عند إسلامهم تعذيبا شديدا ، وأكره عمار على إرضاء الكافرين لكن قلبه كان مطمئنا بالإيمان فنزل فى حقه : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ .

وقد هاجر إلى المدينة ، وولاه عمر الكوفة، وشهد « الجمل » و « صفين » مع على ــ رضى الله عنهما ــ وقتل فى معركة صفين سنة (٣٧هـ) .

(٢) ضيحة لبن : الضيح والضياح : اللبن الرقيق الكثير الماء .

آخر كلمات محرر مصر من الرومان

« عمرو بن العاص » رضى الله عنه [1]

اضطجع عمرو بن العاص ــ رضى الله عنه ــ وهو يشارف الموت ، وأخذ يستعرض حياته فى لحظات الرحيل فقال : « كنت أول أمرى كافرا . . وكنت أشد الناس على رسول الله ، فلومت يومئذ لوجبت لى النار . . . . ثم بايعت رسول الله فما كان فى الناس أحد أحب إلىّ منه ، ولا أجل فى عينىّ منه . . . ولو سئلت أن أنعته ما استطعت ؛ لأنى لم أكن أقدر أن أملأ عينى منه إجلالا له . . . فلو مت يومئذ لرجوت أن أكون من أهل الجنة . . ثم بليت بعد ذلك بالسلطان ، وبأشياء لا أدرى أهى لى ، أم علىّ » .

وأوصى ابنه أن يغسله بعد الموت غسلة بالماء ثم يجففه فى ثوب ، ثم يغسله الثانية بماء قراح ، ثم يجففه ، ثم يغسله الثالثة بماء فيه كافور ، ثم يجففه ، ثم يلبسه الثياب ويزره عليه ، ثم إذا حمله على السرير (خشبة الموتى) فعليه أن يمشى به مشيا بين

---

(١) هو الفاتح المظفر ، والقائد الجرىء ، وأحد عظماء العرب ودهاتهم ، وأولى الرأى والحزم والمكيدة فيهم : أبو عبد الله عمرو بن العاص السهمى الذى فتح مصر فى عهد أمير المؤمنين ــ عمر بن الخطاب ــ وحررها من الرومان وصار واليا عليها وكان قد أسلم فى هدنة الحديبية ، وتوفى بالقاهرة سنة (٤٣هـ) . وكان قد بنى بها الجامع الذى يحمل اسمه حتى الآن .

المشيتين ، وأن يكون خلف الجنازة ، فإذا وضعه فى القبر فليسن التراب عليه سناً (أى يصبه صبا) ،ثم رفع بصره إلى السماء فى ضراعة ، مناجيا ربه الرحيم العظيم قائلا : « اللهم إنك أمرتنا فأضعنا ، ونهيتنا فركبنا . . . اللهم لابرىء فأعتذر ، ولاعزيز فأنتصر ، وإلا تدركنى رحمتك أكن من الهالكين ، ولكن لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله » . وما زال يقولها حتى صعدت إلى الله روحه ــ رضى الله عنه .

الكلمات الأخيرة لفاتح العراق ، ومدائن كسرى
« سعد بن أبى وقاص » رضى الله عنه (١)

روى أن ابنه مصعب قال : كان رأس أبى فى حجرى وهو يقضى (يموت) ، فدمعت عيناى فنظر إلىَّ فقال : مايبكيك أى بنى ؟ فقلت : لمكانك وما أرى بك . قال : فلا تبك علىّ ؛ فإن الله لايعذبنى أبدا ، وإنى من أهل الجنة . إن الله يدين المؤمنين بحسناتهم ماعملوا لله . قال : وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم ، فإذا نفدت قال : ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له .

وروى : أن سعد بن أبى وقاص لما احتضر أشار إلى خزانته ففتحوها ، ثم أخرجوا منها رداء قديما قد بلى وأخلق، ثم أمر أهله أن يكفنوه فيه قائلا « كفنونى فيه ؛ فإنى لقيت المشركين فيه يوم بدر ، ولقد ادخرته لهذا اليوم » !

---

(١) هو أبو إسحاق ، الصحابى الأمير : سعد بن أبى وقاص الزهرى فاتح العراق ، ومدائن كسرى ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله، وأحد الستة الذين عينهم عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ للخلافة .

أسلم وهو ابن سبعة عشر عاما ، وشهد بدراً وافتتح القادسية ، وتولى الكوفة، ثم عزل عنها ، وتوفى سنة (٥٥هـ) .

الكلمات الأخيرة لذاكرة عصر الوحى

« أبى هريرة» رضى الله عنه (١)

بكى أبو هريرة وهو فى مرضه فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال: «أما إنى لا أبكى على دنياكم هذه ، ولكنى أبكى على بعد سفرى، وقلة زادى ، وأنى أصبحت فى صعود مهبط على جنة ونار ، لا أدرى أيهما يؤخذ بى » .

وذات يوم اشتد شوقه إلى لقاء الله . . . وأخذ عواده يدعون له بالشفاء من مرضه ،فإذا به هو يلح على الله قائلا : « اللهم إنى أحب لقاءك ، فأحب لقائى » . وكان قد أوصى عند موته قائلا: « لاتضربوا علىّ فسطاطا ، ولا تتبعونى بمجمر ، وأسرعوا بى؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا وضع المؤمن على سريره يقول : قدمونى ، وإذا وضع الكافر على سريره يقول : ياويلتا ، أين تذهبون بى ؟! » (٢) .

---

(١) اسمه : عبد الرحمن بن صخر الدوسىّ ، من أكثر صحابة رسول الله ﷺ حفظاً للحديث ورواية له ، أسلم فى السنة السابعة من الهجرة ، ولزم النبى ﷺ ، وقد ولى إمرة المدينة مدة ، واستعمله عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ على البحرين فترة من الزمان ، وتوفى سنة (٥٩هـ) .

(٢) رواه أحمد والنسائى وابن حبان

خاتمة مطاف المثابر الأواب

« عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما [1]

عندما اقتربت أيام رحيل الصحابى الجليل المثابر الأواب عبد الله بن عمر بن الخطاب عن الدنيا قال ـ رضى الله عنه ـ: « ما أجدنى آسى على شىء فاتنى من الدنيا ، إلا أنى لم أقاتل مع على الفئة الباغية » .

ولما احتضر ـ رضى الله عنه ـ قال : « ما آسى على شىء من الدنيا إلا على ثلاث : ظمأ الهواجر ، ومكابدة الليل ، وأنى لم أقاتل الفئة الباغية التى نزلت بنا » ـ يعنى الحجاج .

---

(١) هو الصحابى الجليل أبو عبد الرحمن : عبد الله بن عمر بن الخطاب ، المتعبد ، المتهجد الزاهد فى الإمارة ،حيث عرضت عليه الخلافة لما قتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ فأبى ، كان يعد نفسه فى الدنيا غريبا ، ويكثر من الاستغفار والتوبة ، وكان جريئا فى رأيه يجهر بقول الحق ، ولا يخشى فى الله لومة لائم ، أفتى الناس فى الإسلام ستين سنة ، وغزا إفريقية مرتين ، وكف بصره فى آخر حياته ، وتوفى سنة (٧٣ هـ) . قال له النبى ﷺ . « كن فى الدنيا غريبا أو عابر سبيل ، وعد نفسك فى أهل القبور» .

الكلمات الأخيرة لصاحب رسول الله ﷺ وخادمه « أنس بن مالك » رضى الله عنه [1]

سئل أنس وهو فى مرضه : ألا ندعو لك طبيبا ؟ فقال : الطبيب أمرضنى ، وجعل يطلب ممن حوله أن يلقنوه : لا إله إلا الله ، وأخذ يرددها حتى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها .

(١) هو أبو ثمامة أو أبو حمزة : أنس بن مالك البخارى الخزرجى الأنصارى صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ، أسلم صغيرا ، وظل فى خدمة رسول الله ﷺ حتى قبض، ثم رحل إلى دمشق ثم إلى البصرة ،وتوفى فيها سنة (٩٣هـ) .

الكلمات الأخيرة

« لأبى هاشم بن عتبة القرشى »

رضى الله عنه [١]

عاده معاوية وهو مريض فقال : ياخال ما يبكيك ؟ أوجع يشئزك (أى يقلقك) ؟ أم حرص على الدنيا ؟ قال : كلٌّ لا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلىّ عهدا ، لم آخذ به . قال : « إنما يكفيك من جميع المال خادم ومركب فى سبيل الله » . وأجدنى اليوم قد جمعت [٢] .

---

(١) اسمه : أبو هاشم بن عتبة القرشى ، وكنيته · أبو سفيان ، وهو صحابى أسلم يوم الفتح بمكة ، ونزل الشام إلى أن مات فى خلافة عثمان ــ رضى الله عنه ــ وهو أخو أبى حذيفة بن عتبة لأبيه ، وأخو مصعب بن عمير لأمه .

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى وائل .

وصية وقول أخير لشبيه الملائكة

« عمران بن حصين » رضى الله عنه [1]

مرض شبيه الملائكة ـ فى تقواه وطاعته ـ عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ مرضا موجعا لبث معه ثلاثين عاما ما ضجر ولا قال : أفٍ ،وإنما كان مثابرا على عبادته ، قائما، وقاعدا، وراقدا .

وكان يبتسم لإخوانه ومن يعودونه فى مرضه عندما يهونون عليه أمر علته بكلمات مشجعة ويقول لهم : إن أحب الأشياء إلى نفسى أحبها إلى الله .

وكانت وصيته لأهله وإخوانه حين أدركه الموت:« إذا رجعتم من دفنى ، فانحروا وأطعموا » .

---

(١) عرف عمران بن حصين بالصدق والزهد والورع والتفانى وحب الله وطاعته ، وقد أوفده عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى البصرة ليعلم أهلها ويفقههم فى الدين، وقد حذر من الفتنة التى وقعت بين فريقى : على ومعاوية ووقف موقف الحيدة والدعوة إلى السلام .

الكلمات الأخيرة

« لأبى سفيان بن الحارث » رضى الله عنه [1]

أحاطت رحمة الله ـ تعالى ـ أبا سفيان بن الحارث فهدى بعد ضلال، وسعد بعد شقوة، فعاش بعد إسلامه عابدا مجاهدا، ولما رحل الرسول ﷺ عن الدنيا ، تعلقت روح أبى سفيان بن الحارث بالموت ليلحق برسول الله ﷺ بالدار الآخرة ؛ فعاش ما عاش والموت أمنية حياته .

وذات يوم رآه الناس فى البقيع يحفر لحدا ، ويسويه ، ويهيئه، فلما ظهرت دهشتهم على وجوههم مما يصنع نظر إليهم وقال لهم: إنى أعد قبرى ، وبعد ثلاثة أيام ، كان راقدا فى بيته، وأهله من حوله يبكون ، وفتح عينيه عليهم فى طمأنينة سابغة وقال لهم : « لا تبكوا علىّ ؛ فإنى لم أتنطف بخطيئة منذ أسلمت» .

وقبل أن يحنى رأسه على صدره لوح به إلى أعلى ، ملقيا على الدنيا تحية الوداع . . !

---

(١) هو ابن عم رسول الله ﷺ فهو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو أخو النبى ﷺ من الرضاعة فقد أرضعته حليمة السعدية بضعة أيام ، حارب الدعوة محاربة شديدة ولم يتخلف عن حشد حشدته قريش لقتال ؛ حتى أهدر الرسول ﷺ دمه من طول ماحمل سيفه ولسانه ضد الإسلام مقاتلا وهاجيا ، وأسلم هو وابنه جعفر عند الأبواء قبيل يوم فتح مكة ، وحسن إسلامه وجاهد جهادا عظيما يوم حنين.

وصية المجاهد البطل

« أبى أيوب الأنصارى » رضى الله عنه قبل موته [1]

كان أبو أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ لايرجو من الدنيا إلا أن يكون له مكان فوق أرض المعارك الإسلامية ، وبين صفوف المجاهدين ، لذلك لم يكد يبصر جيش الإسلام يتحرك تجاه « القسطنطينية » حتى ركب فرسه ،وحمل سيفه ، وراح يبحث عن استشهاد عظيم طالما حنت نفسه إليه ، ولما أصيب ، وزاره قائد الجيش (يزيد بن معاوية) وقال له : ما حاجتك أبا أيوب ؟ كانت إجابته وهو يعالج أنفاسه الأخيرة : إذا أنا مت فاحملوا جثمانى فوق فرسى ، وامضوا بى أطول مسافة ممكنة بعيدا . . بعيدا فى أرض الروم ، ثم ادفنونى هناك .

تلك كانت وصية ذلك المجاهد البطل الذى كان يتطلع إلى نصر عظيم للإسلام والمسلمين فى أعماق بلاد الروم ، وكأنه يرى بنور بصيرته هذه البقاع وقد أخذت مكانها بين واحات الإسلام ، ودخلت مجال نوره وضيائه .

---

(١) هو خالد بن زيد حفيد مالك بن النجار وكنيته : أبو أيوب الأنصارى ، بايع الرسول ﷺ فى مكة بيعة العقبة الثانية بين السبعين الذين بايعوه ، ثم كان له شرف نزول النبى ﷺ إلى داره بعد دخوله المدينة المنورة ، فكانت أول دار يسكنها المهاجر العظيم والرسول الكريم ﷺ قضى حياته مجاهدا فى سبيل الله فشهد بدرا وأحدا والخندق وفى كل المشاهد والمغازى كان بطلا باع نفسه وماله لله رب العالمين .

الكلمات الأخيرة

« لأبى موسى الأشعرى » رضى الله عنه (١)

دعا أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ فتيانه حين حضرته الوفاة وقال لهم : « اذهبوا واحفروا وأوسعوا وأعمقوا». فذهبوا ثم جاؤوا فقالوا : لقد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا . فقال : «والله إنها لإحدى المنزلتين ، إما ليوسعن علىّ قبرى حتى تكون كل زاوية منه أربعين ذراعا ، ثم ليفتحن لى باب إلى الجنة فلأنظرن إلى أزواجى ومنازلى ، وما أعد الله لى من الكرامة ، ثم لأكونن أهدى إلى منزلى منى اليوم إلى بيتى ، ثم ليصيبنى من ريحها وروحها حتى أبعث . ولئن كانت الأخرى ـ ونعوذ بالله منها ـ ليضيقن علىّ قبرى حتى ليكون فى أضيق من القناة فى الزج ، ثم ليفتحن لى باب من أبواب جهنم فلأنظرن إلى سلاسلى وأغلالى وقرنائى، ثم لأكونن إلى مقعدى من جهنم أهدى منى اليوم إلى بيتى ، ثم ليصيبنى من سمومها وحميمها حتى أبعث » .

وكست محياه إشراقة من يرجو رحمة الله وحسن ثوابه . . وراح لسانه يردد تلك الكلمات التى كان يرددها دائما طوال حياته المؤمنة : « اللهم أنت السلام ، ومنك السلام » .

---

(١) هو الصحابى الشجاع عبد الله بن قيس بن سليم ، أسلم بمكة ، وهاجر إلى الحبشة، وكان من أهل القرآن حفظا ، وفقها ، وعملا ، وقد ولاه الرسولﷺ أمر اليمن مع معاذ بن جبل ؛ لثقته فيه وحبه له ، وكان موضع ثقة الخلفاء والصحابة ، فولاه عمر ابن الخطاب أمر البصرة ، ثم ولاه عثمان أمر الكوفة ، وكان أحسن الصحابة صوتا فى التلاوة ،وكان من أهل العبادة المثابرين ـ رضى الله عنه .

الكلمات الأخيرة للمجاهد البطل
«عبد الله بن رواحة» رضى الله عنه (١)

شهد هذا البطل المجاهد غزوة بدر ، وهو الذى جاء ببشارة النصر إلى المدينة ، وشهد أحدا والخندق والحديبية ، وكان أحد الأمراء فى موقعة مؤتة بعد أن استشهد زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبى طالب ، فتولى القيادة كما أمر الرسول ﷺ ، ولما دارت الحرب وحمى الوطيس .. واشتد القتال بين المسلمين والروم ، الذين كانوا يفوقون المسلمين عددا وعدة ، ودفع عبد الله بن رواحة بنفسه فى أتون المعركة .. لا يبالى بشىء ، ولايهاب الموت فى سبيل الله وأخذ يقول :

أقسمت يا نفسى لتنزلنهْ ... لتنزلن أو لتكرهنهْ

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ... مالى أراك تكرهين الجنة

(١) اسمه : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو .. ينتهى نسبه إلى الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخزرجى ،وكنيته : أبو محمد ، وكان يكنى بأبى رواحة .. وأحيانا بأبى عمرو ، وهو صحابى جليل من الأمراء والشعراء، ومن السابقين الأولين من الأنصار، فهو أحد النقباء الاثنى عشر ، وشهد العقبة مع سبعين من الأنصار ، وآخى النبى ﷺ بينه وبين المقداد ، وكانت حياته ملحمة من ملاحم البطولة والتضحية والجهاد ، وكان سهما فى صدر الكافرين والمشركين ، قاتلهم بالكلمة الصادقة ، ورماهم بسيفه ورمحه دفاعا عن الإسلام والمسلمين ، وقدم نفسه رخيصة فى سبيل الله ــ رضى الله عنه .

فطالما قد كنت مطمئنة		هل أنت إلا نطفة فى شنة [1]

ثم نال الشهادة فى سبيل الله ، فرضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين .

(١) نطفة فى شنة : قليل من الماء فى سقاء بال .

آخر كلمات «طلحة بن عبيد الله »
رضى الله عنه [1]

مات ــ رضى الله عنه ــ فى معركة « الجمل » بعد أن رماه مروان بن الحكم بسهم أودى بحياته ، وكان يومها قد أخذ مكانه مع الجيش المطالب بدم عثمان ، راجيا أن يكون موقفه هذا ، كفارة تريحه من وطأة ضميره ، وكان قبل بدء المعركة ، يدعو ويضرع بصوت تخفقه الدموع ويقول : « اللهم خذ منى لعثمان اليوم ، حتى ترضى » .

وقيل أتاه سهم طائش فوقع فى حلقه فكان آخر قول له : «بسم الله ، **﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾**» .

---

(١) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، أسلم قديما ، وشهد أحدا وثبت فيها مع رسول الله ﷺ ، ودافع عن الرسول بيده فشلت إصبعاه ، وجرح يومها أربعا وعشرين جرحا ، وسماه الرسول ﷺ: « طلحة الخير ، وطلحة الفياض»؛ لأنه كان فياضا بماله ، باذلا نفسه فى سبيل الله ، وسماه يوم « حنين » : «طلحة الجود ». وقد قال عنه ﷺ : « من سره أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض، وقد قضى نحبه ، فلينظر إلى طلحة ». روى أنه باع أرضا له بسبعمائة ألف، فبات ذلك المال عنده ليلة ، فبات أرقا من مخافة المال ، حتى أصبح ففرقه ، وقالت سعدى بنت عوف امرأته : « لقد تصدق طلحة يوما بمائة ألف درهم ، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفى ثوبه » رضى الله عنه .

وصية الصحابى الجليل

« عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه لبناته [1]

روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده، عن أبى ظبية قال : مرض عبد الله مرضه الذى توفى فيه، فعاده (عثمان بن عفان) فقال : ما تشتكى ؟ قال : ذنوبى، قال : فما تشتهى ؟ قال : رحمة ربى ، قال : ألا آمر لك بطبيب؟ قال : الطبيب أمرضنى ، قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لاحاجة لى فيه ، قال : يكون لبناتك من بعدك ،قال : أتخشى على بناتى الفقر ؟ إنى أمرت بناتى يقرآن كل ليلة سورة الواقعة ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » [2] .

---

(١) هو عبد الله بن مسعود بن الحارث بى شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وهو من طبقة السابقين المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ المعروفين بالنسك ، تلقى من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة أحكمها قبل أن يسلم زيد بن ثابت ، وكان يمُلى المصحف عن ظهر قلب ، ولما ضحك القوم يوما من دقة ساقيه ، قال النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده ، لهما أثقل فى الميزان من أحد » . وهو من رواة الحديث عن رسول الله ﷺ .

(٢) رواه ابن عساكر وأبو يعلى وقال بعده : فكان أبو ظبية لايدعها .

الفصل الخامس

الوصايا والكلمات الأخيرة

لبعض التابعين رضى الله عنهم

الكلمات الأخيرة لأبى عائشة

« مسروق بن الأجدع » (١)

أذن الرحيل ، وعَلِمَ عِلْم اليقين أنه مفارق دنياه ، فبكى بكاء شديدا ، فلما قيل له : ماهذا الجزع ؟ قال : مالى لا أجزع ؟! إنما هى ساعة ، ولا أدرى أين يسلك بى ؟! بين يدىَّ طريقان ، لا أدرى إلى الجنة أم إلى النار .

---

(١) اسمه : مسروق بن الأجدع الهمدانى الوادعى ، وكنيته · أبو عائشة ، وهو من التابعين من أهل اليمن ، وقد قدم المدينة فى أيام أبى بكر ، وسكن الكوفة ، وشهد حروب على بن أبى طالب ، وكان أعلم الناس بالفتيا من شريح ، وشريح أبصر بالقضاء منه ، وكان ثقة عالما ، وتوفى سنة (٦٣هـ) .

الكلمات الأخيرة للحافظ الفقيه

« الأسود بن يزيد » [1]

شاهد شمس الغروب : غروبه عن الدنيا ، واستقباله الموت فبكى ،فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : مالى لا أجزع ؟! ومن أحق بذلك منى ؟! والله لو أنبئت بالمغفرة من الله لأهابنى الحياء منه مما قد صنعت ؛ إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحييا منه .

---

(١) اسمه : الأسود بن يزيد بن قيس النخعى ، وهو من التابعين ، وكان فقيها من الحفاظ، وكان عالم الكوفة فى عصره ،وتوفى سنة (٧٥هـ) .

الكلمات الأخيرة للبَكَّاء من خشية الله

« محمد بن المنكدر» رضى الله عنه (١)

عاش محمد بن المنكدر ، هو وأولاده ، عيشة إيمان وصدق ومحاسبة للنفس لعلهم يكونون من أهل السعادة يوم القيامة ، ومن الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله . . . وعندما حضرته الوفاة ظهر عليه شىء من الجزع ،فقيل له : لم تجزع ؟ قال: أخشى آية من كتاب الله ــ عز وجل ــ . . . . . فهو يقول: ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾،فإننى أخشى أن يبدو لى من الله مالم أكن أحتسب . . .

ويروى أحد الصحابة أنه جلس بجوار محمد بن المنكدر وهو يحتضر . . فقال له : ياأبا عبد الله . . كأنى أراك قد شق عليك الموت . . . وأخذ يهون عليه حتى رأى وجهه يشرق ويتلألأ كأنه البدر . . وهنا قال له محمد بن المنكدر : لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك . . ثم فاضت روحه . . . والغرفة كلها تفوح بعبق الروح والريحان .

---

(١) هو محمد بن المنكدر القرشى التيمى المدنى ، ويمت بصلة قربى ووشيجة دم إلى أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ فهما يلتقيان عند جدهما الأكبر سعد بن تيم ، وهو زاهد كان يكثر من البكاء حين يقرأ القرآن وحين يصلى وحين يخلو مفكرا فى القيامة ورهبة الحساب ، حتى كف بصره خشية من الله ، وهو من رجال الحديث ، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم ، وتوفى سنة (١٣١هـ) .

الرجاء الأخير « لسليمان التيمى » (١)

حدث ابنه المعتمر بأن أباه سليمان حين حضره الموت قال له: « يابنى . حدثنى بالرخص ؛ لعلى ألقى الله ــ تعالى ــ وأنا حسن الظن به » .

فهو يأبى التشدد ، ويرفض المغالاة ، ويطلب أن يعرف أوجه اليسر والرخص ؛ فإن الله ــ تعالى ــ يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه ، وأن المرء يبعث على ما مات عليه ، فهو يريد أن يلقى الله ــ تعالى ــ وهو حسن الظن به .

---

(١) اسمه : سليمان بن طرخان التيمى ، وكنيته . أبو المعتمر ، وهو أحد علماء البصرة وعبادها ، سمع أنسًا ــ رضى الله عنه ــ وطائفة ، ومكث أربعين سنة يصوم يوما ويفطر يوما ، وتوفى سنة (١٤٣هـ)

أمنية « حسان بن أبى سنان »
قبيل وفاته [1]

سئل وهو يتأهب للخروج من الدنيا ، ويستقبل الآخرة : أتجد كربا شديدا ؟ فبكى ثم قال : نعم . . أجد ذلك ، ونظر إلى عواده قائلا : ينبغى للمؤمنين أن يسلوا عن كرب الموت وألمه لما يرجون من السرور فى لقاء الله ــ عز وجل .

وسئل مهدى بن ميمون : من حسان بن أبى سنان ؟ فقال فى دهشة : من حسان بن أبى سنان !؟ لقد رأيته فى مرضه فقيل له: كيف تجدك ؟ قال : « بخير إن نجوت من النار » . فقيل له: فما تشتهى ؟ قال : « ليلة بعيدة ما بين الطرفين أحيى ما بين طرفيها» .

تلك كانت أمنية الرجل الذى أحب لقاء الله فأحب أن يقف بين يديه عابدا أطول ليلة قبل فراق دنياه .

---

(١) هو حسان بن أبى سنان التنوخى ، كان نصرانيا فأسلم ، وهو من أهل الأنبار ،وكان مترجما يكتب بالعربية والفارسية والسريانية ، ورأى أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ــ وأدرك الدولتين الأموية والعباسية ، توفى سنة (١٨٠هـ) .

وصية الزاهد أبى يزيد « الربيع بن الخثيم »
عند وفاته [1]

جاءت لحظات النهاية فأحاطت به أسرته ، واقتربت منه ابنته تبكى بكاء مرا ، فنظر إليها وقد علت وجهه ابتسامة الرضا وقال لها : لم تبكين يابنية ؟! قولى : يابشراى . . أتى الخير . وقيل له : ألا توصى ؟ قال : بم أوصى ؟ فقد عرفتم أنه ليس لى درهم ولا دينار ، وليس لى على أحد درهم ولا دينار ، وليس أحد يخاصمنى عند ربى ــ عز وجل ــ ولا أخاصم أحدا . فقيل له : بل أوصِ . قال : إن لى امرأة شابة فإذا أنا مت فحثوها على التزوج ، واطلبوا لها رجلا صالحا ، وبنىّ هذا إذا رأيتموه فامسحوا رأسه فإنى سمعت ابن مسعود يقول : قال رسول الله ﷺ : «من مسح على رأسٍ يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة » . قيل له : بل أوصِ . قال : هذا ما أوصى به الربيع بن خثيم وأوغل على نفسه (أى بالغ) وأشهد الله ــ عز وجل ــ عليه ، وكفى بالله حسيبا وجازيا لعباده الصالحين ، ومثيبا لهم ، إنى رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ، وبالقرآن إماما .

(١) هو من التابعين الزهاد ، روى عن ابن مسعود وغيره ، وتوفى بالكوفة فى ولاية عبد الله بن زياد .

وصية الزاهد « خيثمة بن عبد الرحمن »
عند وفاته [1]

جلست امرأته بجواره وهو طريح الفراش فى المرض الذى توفى فيه ، وبكت بكاء شديدا ، فنظر إليها قائلا : ما يبكيك ؟! إن الموت لابد منه . فشدت زوجه على يده وهى تودعه فى حسرة ولوعة وقالت له : الرجال بعدك علىّ حرام . فنظر إليها خيثمة مستنكرا وقال لها : ما كل هذا أردت منك ، إنما كنت أخاف رجلا واحدا هو أخى محمد بن عبد الرحمن ، فهو رجل فاسق يتناول الشراب فكرهت أن يشرب فى بيتى بعد إذ القرآن يتلى فى كل ثلاث .

إن هذا الرجل الزاهد العابد لم يكن ليحرم على زوجه شيئا أحله الله ، وإنما أراد لبيته أن يكون طاهرا نظيفا من بعده ، فلا يدنس بإثم أو منكر بعد أن كانت الملائكة تحف به مستمعة آيات الله تتلى وتتردد فى جوانبه آناء الليل وأطراف النهار .

---

(١) هو من التابعين ، وقد أدرك عددا من أعلام الصحابة ، وروى عن ابن مسعود وابن عمرو بن العاص وغيرهما ، وروى عنه الأعمش وطلحة بن مصرف وجماعة ، وكان زاهدا كريما قارئا للقرآن ، يختم القرآن تلاوة فى كل ثلاثة أيام .

الفصل السادس

الوصايا والكلمات الأخيرة
للأئمة الأربعة ــ رضى الله عنهم

وصية ودعاء للإمام أبى حنيفة رضى الله عنه

عند موته

الإمام أبو حنيفة ـــ رضى الله عنه ـــ أول الأئمة الأربعة الذين هم أئمة الفقهاء الأعلام ، وهم أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة التى شرّقت وغرّبت ، واشتهرت بين الناس فى الماضى والحاضر، وقد بلغوا منزلةً عالية ومكانةً رفيعة بما بذلوه من جهود عظيمة فى خدمة الشريعة الغراء والفقه الإسلامى ، وبما خلفوه هم وأمثال لهم من تراث فقهى ضخم وسيظل مفخرة كبرى للإسلام وللمسلمين .

ولما امتدت يد الردى إلى حياة الإمام أبى حنيفة لتطويها فى الثرى أوصى ـــ رضى الله عنه ـــ بأن يدفنْ فى أرض طيبة ، لم يحدث فيها غصب ، وأن لايدفن فى أرض اتهم الأمير بأنه اغتصبها ، ولقد بلغت هذه الوصية مسمع أبى جعفر المنصور ، فقلق لها وقال : « من يعذرنى من أبى حنيفة حيا وميتاً !؟» . وقال بكر العابد : قال أبو حنيفة عند موته : « ارحمنى وأنا صريع بين أهل الدنيا ،أعالج نفسى يا أرحم الراحمين » .

آخر كلمات الإمام
مالك بن أنس رضى الله عنه

أما ثانى الأئمة الأربعـة فى الميـلاد : الإمـام مالك ـــ إمام دار الهجرة ، وإمام أهل الحجاز وأحد تابعى التابعين ، والذى إليه انتهى فقه المدينة ، والذى عاش قرابة تسعين عاما ، شاب خلالها شيبةً طيبةً مباركة فى خدمة الإسلام والمسلمين . فقد دخل عليه بكر بن سليمان الصواف مع جماعة ليلـة وفاته فقـالوا: يا أبا عبد الله ، كيف تجدك ؟ فقال : ما أدرى كيف أقول لكم ، إلا أنكم ستعاينون غداً من عفو الله ما ليس فى حساب .

وبعد قليل تشهد وقال : لله الأمر من قبل ومن بعد . . ثم أسلم روحه إلى بارئها .

الإمام الشافعى رضى الله عنه
وهو على فراش الموت

وهذا ثالث الأئمة الأربعة فى ترتيب الميلاد : أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى « ناصر الحديث » ، و« مجدد القرن الثانى » ، والذى قال فى حقه الإمام أحمد بن حنبل : « يروى عن النبى ﷺ أن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها ، فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة ، وأرجو أن يكون الشافعى على رأس المائة الأخرى» .

نراه على فراش الموت ينفث عن صدره بالشعر ، ويستخدمه فى غرض شريف كريم، وهو رجاء العفو والمغفرة من الله ـ تعالى ـ وقد روى الرواة أن إسماعيل بن يحيى المزنى دخل عليه فى مرضه الذى مات فيه وقال له : كيف أصبحت ؟ . . فرد الشافعى قائلا : أصبحت من الدنيا راحلا ، وللإخوان مفارقا ، ولكأس المنيّة شاربا ، وعلى الله جل ذكره واردا (وفى رواية أخرى زيادة: « ولسوء أعمالى ملاقيا ») ، ولا والله ما أدرى : روحى تصير إلى الجنة فأهنيها ، أو إلى النار فأعزيها ، ثم بكى وأنشأ يقول :

إليك إله الخلق أرفع رغبتى

وإن كنت ياذا المن والجود مجرما

ولما قسا قلبى ، وضاقت مذاهبى

جعلت الرجا منى لعفوك سلما

تعاظمنى ذنبى [1]، فلما قرنته

بعفوك ربى ، كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب ، لم تزل

تجـود وتعـفو ، منّة وتكـرمـا

فلولاك لم يصمد لإبليس عابد

فكـيف وقـد أغوى صفيَّك آدما

فإن تعف عنّى ؛ تعف عن ذى إساءة

ظـلوم غشوم قاسى القلب آثما

وإن تنتقم منى فلست بآيس

ولو دخلت روحى بجرمى جهنما

فجرمى عظيم من قديم وحادث

وعفوك ياذا العفو أعلى وأجسما

(١) تعاظمنى دنبى . عظم فى نظرى .

وصية الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه

أما رابع الأئمة من الفقهاء ، صاحب الصفات والنعوت الباهرة التى أطلقها عليه معاصروه وعارفو قدره ، فهو إمام الدنيا ، إمام دار السلام ، مفتى العراق ، عالم السنة ، زاهد الوقت ، محدث الدنيا ، عالم العصر ، قدوة أهل السنة ، الصابر فى المحنة ، الرجل الصالح ، الزاهد المحتسب : أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ وهو مجدد القرن الثالث فى رأى السيد محمد رشيد رضا .

مرض هذا الإمام العظيم مرض الموت ، وكان لايشغله فى هذا المرض إلا أمور هى : الصلاة ، والتفكير فى توزيع المال الذى تركه ، وثلاث شعرات من شعر النبى ﷺ كانت عنده ، وحرصه على عدم الأنين مهما اشتد عليه الوجع ؛ لأنه روى حديثا عن طاووس ينهى عن الأنين .

ولقد حافظ على الصلاة ولم يتركها بحال من الأحوال ، وحين عجز عن تخليل أصابعه أمر أولاده بتخليلها ، وقد توفى بعد وضوء له بلحظات محدودة .

وسأل عما عنده من المال فكان ضئيلا فأمر بأن يتصدق منه . . ولم يصدر منه أنين قط . .

وفى أول يوم من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين

ومائتين أصابته الحمى ، وضعف عن المشى فى البيت إلا مستعينا بغيره ، ووصف له الطبيب طعاما يشوى ، فقال ابن حنبل لولده صالح : لاتشو ــ هذا الطعام فى بيتك ، ولا فى بيت عبد الله أخيك ، وإنما قال هذا ، تورعا عن الشبهة؛ لأنهما كانا يأخذان من مال السلطان .

وكان ابن حنبل قد حنث فى يمين ــ هى اليمين الوحيدة التى حنث فيها خلال عمره كله ــ فأمر بشراء تمر ، وعمل كفارة عن هذه اليمين ، ثم قال : الحمد لله .

وكانت لابن حنبل وصية قال فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أحمد بن حنبل : أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله فى العابدين ،ويحمدوه فى الحامدين ، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين. وأوصى : إنى قد رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا .

وأوصى : أن لعبد الله بن محمد المعروف ببوران عليَّ نحواً من خمسين دينارا ، وهو مصدق فيما قال ، فيقضى ماله عليّ من

غلة الدار إن شاء الله،فإذا استوفى ،أعطى ولد صالح وعبد الله، ابنى أحمد بن حنبل ، كل ذكر وأنثى عشرة دراهم ، بعد وفاء مال أبى محمد .

شهد أبو يوسف ، وصالح وعبد الله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل ».

الفصل السابع

الوصايا والكلمات الأخيرة لبعض الصالحين من الزهاد والمحدثين والعلماء والحكام

الكلمات الأخيرة لخامس الخلفاء الراشدين

« عمر بن عبد العزيز » (١)

لما مرض الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز دخل عليه مسلمة ابن عبد الملك وقال له : ياأمير المؤمنين ، إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال ، وتركتهم عالة ، ولابد لهم من شيء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم إليّ ، أو إلى نظرائك من أهل بيتك ، لكفيتك مؤونتهم إن شاء الله .

فقال عمر : أجلسونى . فأجلسوه ، فقال : الحمد لله ، أبالفقر تخوفوننى يامسلمة ؟! أما ما ذكرت أنى فطمت أفواه ولدى عن هذا المال ، وتركتهم عالة ، فإنى لم أمنعهم حقا هو لهم ، ولم أعطهم حقا هو لغيرهم . وأما ما سألت من الوصاة إليك ،

---

(١) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فهو أموى قرشى ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب ، ولد سنة (٦٢هـ ــ ٦٣١م) وتوفى سنة (١٠١هـ ــ ٧٢٠م) ، كان أبوه أميرا وواليا بمصر ، وفى الخامسة والعشرين من عمره ــ على عهد الوليد ـ بن عبد الملك ــ تولى إمارة المدينة فأعادها حرما آمنا للمسلمين ، وكان صالحا طامحا إلى عدل الإسلام ، وعهد له سليمان بن عبد الملك بالخلافة من بعده لصلاحه وتقواه وخبرته فى الإمارة والوزارة ، فتولى الخلافة فى شهر صفر سنة (٩٩هـ) فنشر العدل وقضى على المظالم ، وكان عهده أقرب مايكون إلى عهد الخلفاء الراشدين ــ رضى الله عنهم .

أو إلى نظرائى من أهل بيتى ، فإن وصيتى بهم إلى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . وإنما بنو عمر أحد رجلين : رجل اتقى الله ، فجعل الله له من أمره يسرا ، ورزقه من حيث لايحتسب ، ورجل غيّر وفجر ، فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه .

ادعوا إلىّ بنىّ . . بنفس فتية تركتهم ولا مال لهم ! يابَنىّ ، إنى قد تركتكم من الله بخير ، إنكم لاتمرون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله . يابَنىّ ، مثلت رأيى بين أن تفتقروا فى الدنيا ، وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوما واحدا فى النار .

يا مسلمة ، إنى حضرت أباك لما دفن ، فحملتنى عينى عند قبره، فرأيته قد أفضى إلى أمر من أمر الله راعنى وهالنى، فعاهدت الله ألا أعمل بمثل عمله إن وليت ، وقد اجتهدت فى ذلك طول حياتى، وإنى أرجو أن أفضى إلى عفو من الله وغفران.

قوموا يابنى ، عصمكم الله ورزقكم .

الكلمات الأخيرة « لسفيان بن سعيد الثورى »
أمير المؤمنين فى الحديث (١)

لما احتضر سفيان الثورى بكى بكاء شديدا، وظهر عليه الجزع فقيل له : يا أبا عبد الله . . ماهذا البكاء ؟ قال : لشدة مانزل بى من الموت . . إن الموت والله شديد ، وأخذ يقول : روح المؤمن تخرج رشحاً ، فأنا أرجو . . . ثم قال : الله أرحم من الوالدة الشفيقة الرفيقة ، إنه جواد كريم ، وكيف لى أن أحب لقاءه وأنا أكره الموت . فأبكى من كان حوله حتى كادوا يختنقون ، وجعلوا يخفون بكاءهم عنه ، بينما هو يقول : أوه . . أوه من الموت . ثم قال : مرحبا برسول ربى ، ثم أغمى عليه ، ثم أفاق من غيبوبته فقال : ياعبد الرحمن ، اذهب إلى حماد بن سلمة فادعوه لى فإنى أحب أن يحضرنى . وقال : لقنى قول «لا إله إلا الله» فجعل عبد الرحمن يلقنه حتى جاء حماد مسرعا حافيا ما عليه إلا إزار فدخل وقد أغمى على سفيان، فقبل بين عينيه وقال : بارك الله فيك يا أبا عبد الله ففتح عينيه ثم قال : أى أخى . . مرحبا . . ثم قال : ياحماد . . خذ حذرك واحذر هذا المصرع .

---

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى ، ولد بالكوفة سنة (٩٧هـ) وظل بها حتى سنة (١٥٥هـ) ، ثم انتقل إلى البصرة وعاش بها ست سنوات ، وكان عالما صالحا ورعا ، وقد راوده المنصور على أن يلى الحكم فأبى ، وكان آية فى الحفظ ، وأطلق عليه أمير المؤمنين فى الحديث فى زمنه ، وتوفى سنة (١٦١هـ).

آخر كلمات شيخ الزاهدين
« عبد الله بن المبارك » [1]

لما أشرف على النهاية ، وأقبل « نصير » عليه يناديه : يا أبا عبد الرحمن: قل « لاإله إلا الله » . فنظر إليه وهو يعالج سكرات الموت وقال له: « يانصير ، قد ترى مقدرتى على الكلام، فإذا سمعتنى قد قلتها فلا ترددها حتى تسمعنى قد أحدثت بعدها كلاما » . . وما طلب ابن المبارك أن يكف نصير عن تلقينه الشهادة إلا عندما يتكلم بكلام آخر فعندئذ يلقنه مرة أخرى فإذا سمعه ينطقها أمسك عن الكلام وعن التلقين حتى يكون آخر كلامه من الدنيا : « لا إله إلا الله » . التى عاش عليها ولها ، وبها ختم الله له رحلته المباركة فى هذه الدنيا .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن : عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى بالولاء التميمى المروزى، وكان حافظا مجاهدا تاجرا ، رحالة ، أفنى عمره فى الأسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس ، واشتهر بالشجاعة والسخاء ، وتوفى سنة (١٨١ هـ) .

وصية شيخ المشرق « محمد بن أسلم الطوسى » قبل موته [1]

دخل عليه خادمه محمد بن القاسم قبل موته بأربعة أيام فدعاه إليه والبشر يظهر على وجهه ، وقال له : تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير ، فقد نزل بى الموت ، وقد منّ الله ـ تعالى ـ علىّ أنه ليس عندى درهم يحاسبنى عليه . اغلق الباب، ولا تأذن لأحد علىّ حتى أموت ، واعلم أنى أخرج من الدنيا ولست أدع ميراثا غير كسائى ولبدى وإنائى الذى أتوضأ فيه ، وكتبى هذه ـ وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهما ـ أما هذا المال فهو لابنى قد أهداه له أحد أقاربه ، ولا أعلم شيئا أحل لى منه ؛ لأن النبى ﷺ قال: « أنت ومالك لأبيك » ،فإذا مت فكفنونى بها ، فإذا أصبتم لى بعشرة دراهم مايستر عورتى فلاتشتروا بخمسة عشر ، وابسطوا على جنازتى لبدى،وغطوا عليها بكسائى ، وتصدقوا بإنائى . أعطوه مسكينا يتوضأ فيه ، وبعد أربعة أيام من تلك الوصية صعدت روحه إلى بارئها. رحمه الله .

---

(١) هو أبو الحسن الكندى محمد بن أسلم الطوسى ، من حفاظ الحديث وعلماء المسلمين ، وقد أطلق عليه الذهبى : شيخ المشرق ، ومن كتبه (الرد على الجهمية)، و(المسند)، وقد توفى سنة (٢٤٢هـ) .

الكلمات الأخيرة لإمام الحديث

« الإمام البخارى » (١)

أقام الإمام البخارى عند أبى منصور ــ غالب بن جبريل ــ عدة أيام ، فمرض واشتد به المرض ، حتى وجه رسولا إلى مدينة سمرقند فى إخراجه ، فلما وافى الرسول ، تهيأ الإمام البخارى للركوب ،فلبس خفيه وتعمم ، فلما مشى نحوا من عشرين خطوة ،وأبو منصور آخذ بعضده ورجل آخر آخذ معه يقودانه إلى الدابة ليركبها ، فإذا به ــ رحمة الله عليه ــ يقول : أرسلونى؛فقد ضعفت ،ثم دعا بدعوات ثم اضطجع ، فصعدت روحه إلى بارئها ــ رضوان الله عليه .

---

(١) هو أمير المؤمنين فى الحديث فى عصره ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة . . ونسب إلى بخارى وهى من الأقاليم المعروفة اليوم بتركستان الغربية بروسيا ،وقد ظهر نبوغه منذ الصغر فقد رزقه الله قلبا واعيا ، وحافظة قوية، وذهنا صافيا ، وألهمه حفظ الحديث ، فأخذ منه بحظ كبير ولما يبلغ العاشرة ، وأخذ يراجع علماء عصره ويناقشهم ورحل فى طلب العلم إلى محدثى الأنصار ، وكتب إلى معظمهم ، وروى عنه خلق كثير ، ومن أشهر كتبه : الجامع الصحيح (صحيح البخارى) وهو أصح كتاب فى الحديث ، وقد ولد سنة (١٩٤هـ) ،توفى سنة (٢٥٦هـ) فى قرية بمقربة من سمرقند حيث دفن .

الكلمات الأخيرة للمحدث الزاهد

« محمد بن واسع » (1)

نظر إلى عواده الذين التفوا حوله وهو يحتضر فقال: ياإخوتاه ،هبونى وإياكم سألنا الله الرجعة ،وأعطاكموها ومنعنيها، فلا تخسروا أنفسكم .

فلما ثقل وكثر الناس عليه لعيادته ،فإذا قوم قعود وآخرون قيام، فنظر إلى أحد أصحابه وقال له : أرنى ما يغنى هؤلاء عنى إذا أخذ غدا بناصيتى وقدمى ، وألقيت فى النار ؟ ثم تلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام**﴾(2) .

---

(1) هو : أبو بكر محمد بن واسع الأزدى ، كان فقيها ، ورعا ، زاهدا ، فقد عرض عليه قضاء البصرة فأبى ، وهو من ثقات أهل الحديث ، وتوفى سنة (١٢٣هـ) .

(2) سورة الرحمن :(الآية ٤١) .

الكلمات الأخيرة للمحدث الزاهد

« حبيب العجمى » [1]

سئل وهو فى مرض موته : ماهذا الجزع الذى ما كنا نعرفه منك ؟! فقال : سفرى بعيد بلا زاد ، وينزل بى فى حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس ، وأقدم على ملك جبار قد قدم إلىّ العذر .

ويروى أنه جزع جزعاً شديدا عند الموت فأخذ يقول : أريد سفرا ما سافرته قط ! .... أريد أن أسلك طريقا ما سلكته قط ! .... أريد أن أزور سيدا ومولى ما رأيته قط! ... أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط ! ... أريد أن أدخل تحت التراب ، وأبقى تحته إلى يوم القيامة ، ثم أقف بين يدى الله ــ تعالى ــ وأخاف أن يقول لى : ياحبيب .. هات تسبيحة واحدة سبحتنى فى ستين سنة لم يظفر الشيطان منها بشىء . فماذا أقول ؟! وليس لى حيلة ! أقول : يارب هأنذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقى .. !

---

(١) هو : حبيب بن سعيد العجمى ، روى عن الحسن وابن سيرين وغيرهما ، وروى له البخارى فى كتاب (الأدب)، وقال الذهبى :« وما علمت فيه جرحا » . وكان رجلاً صالحاً زاهدا .

الكلمات الأخيرة لحجة الإسلام
« أبى حامد الغزالى » (١)

حكى ابن الجوزى أن الغزالى ـ رضى الله عنه ـ حين حضرته الوفاة يوم الإثنين ـ الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة من الهجرة ـ وقت الصبح ، وكان عنده أخوه أحمد ،فتوضأ الإمام الغزالى وصلى وقال : علىّ بالكفن ! فأخذه وقبله ووضعه على عينيه ،وقال : سمعا وطاعة للدخول على الملك .

ثم مد رجليه ،واستقبل ،وانتقل إلى رضوان الله ـ تعالى.

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى أبو حامد الغزالى ، ولد سنة (٤٥٠هـ ـ ١٠٥٨م) فى مدينة « طوس » بخراسان شمال شرق إيران وتسمى الآن « مشهد » وهو من أصل فارسى ،كان أبوه تقيا فقير اليد ، غنى الروح ، يكسب قوته من غزل الصوف وخدمة رجال الدين ، تعلم الدين فى « طوس » ثم سافر إلى «جورجان » طلبا لمزيد من العلم ، معتمدا فى تحصيله على الفهم ، وهضم الحقائق، ثم رحل إلى « نيسابور » ثم « بغداد » واتسعت حلقات دروسه ، وبدأ فى تأليف كتبه، وقد آثر الغزالى الخلوة ، ثم غادر « بغداد » إلى « مكة » و« دمشق » و « بيت المقدس» «ومصر» «والإسكندرية» ، وأخيرا عاد إلى بلده «طوس» يدرس ويعظ الناس،ويتعبد حتى توفى فى ١٤ من جمادى الآخرة سنة (٥٠٥هـ ـ ١١١١م) ومن أهم كتبه (إحياء علوم الدين) ، (المنقذ من الضلال) ، و(مقاصد الفلاسفة) ، و(تهافت الفلاسفة) ، وتجاوزت مؤلفاته ١٢ كتاباً .

الكلمات الأخيرة للشيخ « أبى مدين الغوث » (١)

عاش أبو مدين الغوث بقية حياته فى « بجاية» ببلاد المغرب هاديا إلى طريق الله ، فى نشاط لا يفتر ، حتى خرج به الآلاف من ظلمة المعاصى إلى نور الهداية ، فلما انتهت به الحياة كان أثره ضخما ، ورصيده فى الخير كبيرا ، ولما اشتهر أمره ، وشاع فى الآفاق ذكره ؛سعى به عند خلفاء بنى عبد المؤمن بمراكش ، فأمر السلطان بطلوعه من « بجاية » إلى حضرته ، وكتب إلى والى «بجاية » بالوصية عليه أن يحمل خير محمل ، فأخذ الشيخ أبو مدين ــ رضى الله عنه ــ فى السفر ، وشق ذلك على كثير من أصحابه ، وخافوا أن يكون وراء ذلك مايغير النفوس . . فقال لهم ــ رضى الله عنه وعنهم ــ : شعيب شيخ كبير ضعيف ، لاقوة له للمشى ، ومنيته قدرت بغير هذا المكان ، ولابد من

(١) هو الإمام العارف بالله أبو مدين : شعيب بن حسين الأنصارى ، أصله من الأندلس من « حصن قطنيانة » وهى قرية تابعة « لأشبيلية » ، رعى الغنم فى صغره ، وتعلق بالله وذكره منذ الصغر ، وحفظ القرآن ، وتعلم العلم ، وقد دفعته رغبته فى ذلك إلى الفرار لطلب المعرفة ليقينه أن الله لا يعبد إلا بالعلم ، فشد الرحال على قدميه إلى مدينة « فاس » ، وفى الجامع كانت دراسته وعبادته وطهارته . حتى فتح الله عليه بالمواهب العلية ، والأسرار الربانية ، ثم انتقل إلى مكة ــ فأتم بإرشاد الصوفى الكبير «عبد القادر الجيلانى » ــ علومه الصوفية . ثم استقر فى بلاد المغرب فى « بجاية » ناسكا ، داعيا إلى الله بالحكمة ، وله كرامات مشهورة .

الوصول إلى موضع المنية ، فقيض الله لىّ من يحملنى إلى مكان الدفن برفق ، ويسوقنى إلى مرام المقادير أحسن سوق ، والقوم لا أراهم ولا يرونى ، فطابت نفوسهم ، وذهب عنهم بأسهم ، وارتحل به إلى أن وصل إلى تلمسان ، فلما رأى « العباد » قال لرفقائه : مايقال لهذا المكان ؟ . . فقيل له : العباد . . فقال : مليح للرقاد . .

وروى أنه قال : لابأس بالنوم فى هذا المكان . . . . وشرفت تلك البقعة بتربته ، وكانت تلك خاتمة كراماته ــ رضى الله عنه .

قال أبو على الزاهد ــ رحمه الله تعالى ــ لما احتضر الشيخ أبو مدين استحييت أن أقول له : أوصنى ، فأتيته بغيرى وقلت له: هذا فلان فأوصه ، فقال : سبحان الله ، وهل كان عمرى كله معكم إلا وصية ؟! وأى وصية أبلغ من مشاهدة الحال ؟! قال أبو على الصواف : وسمعته عند النزع وهو يقول : الله،الله،الله ــ حتى رق صوته .

وقال بعضهم : آخر ما سمع منه : « الحق » .

وقال بعضهم : آخر ما سمع منه : « الله الحق » .

وقال بعضهم : آخر ما سمع منه : « الله الحى » .

فمات ــ رضى الله عنه ــ على ما عاش عليه .

الكلمات الأخيرة لإمام النحاة « سيبويه » (1)

كان طلحة بن طاهر فى خراسان يحب النحو حبا شديدا فارتحل سيبويه إليه ليحظى بالمكانة عنده ، فمرض هنالك مرضه الذى توفى فيه ، فلما حضره الموت تمثل بهذين البيتين :

يؤمل دنيا لتبقى له

فمات المؤمل قبل الأمل

يربى فسيلا (2) لتبقى له

فعاش الفسيل ومات الرجل

ويقال : إنه لما احتضر وضع رأسه فى حجر أخيه فدمعت عينا أخيه ، فلما أفاق من غيبوبته رأى أخاه يبكى فقال وهو يعالج أنفاسه الأخيرة :

وكنا جميعا فرق الدهر بيننا

إلى الأمد الأقصى فمن يأمن الدهرا

---

(1) اسمه : عمرو بن عثمان ، وكنيته : أبو بشر ، وهو أول من بسط علم النحو وله كتاب(سيبويه فى النحو) الذى لم يصنع مثله قبله ولا بعده ، وقد رحل إلى بغداد فناظر الكسائى ، وأجازه الرشيد ، وعاد إلى الأهواز فتوفى بها سنة (١٨٠هـ) .

(2) الفسيل : جمع الفسيلة ، وهى النخلة الصغيرة تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس

الكلمات الأخيرة للخليفة العباسى
« المعتصم بالله » (١)

لما احتضر الخليفة العباسى « المعتصم بالله » جعل يقول : ذهبت الحيلة ، فليس لى حيلة . وكان يردد قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة** ﴾ (٢) .

وينظر إلى من حوله نظرة تحسر وندم قائلا : لو علمت أن عمرى قصير ما فعلت .

وقيل إنه كان يتمتم بهذه الكلمات ضارعا إلى ربه :

اللهم إنك تعلم أنى أخافك من قبلى ، ولا أخافك من قبلك ، وأرجوك من قبلك ، ولا أرجوك من قبلى » .

---

(١) اسمه : محمد بن هارون الرشيد ، وكنيته : أبو إسحاق . ، ولقبه : المعتصم بالله وهو خليفة من أعاظم الخلفاء العباسيين ، وقد كان يكره التعليم فى صغره ؛ لذلك نشأ ضعيف القراءة ، ولكنه كان قوى الساعد ، وهو فاتح عمورية ، وبانى مدينة سامراء، توفى سنة (٢٢٧هـ)

(٢) سورة الأنعام . (آية ٤٤) .

الكلمات الأخيرة لأحمد بن طولون [1]

جلست أم أبى العشائر بين يديه تترقب خروج روحه فى اللحظات الأخيرة وقد أمسكت بالعصابة فى يدها لتشد لحييه فإذا به يفتح عينيه ، ويديرهما ثم يغلقهما ، ثم يفتحهما ، فينظر إليها نظر من رجع بصره إليه ، فحمدت أم أبى العشائر ربها على ذلك، وإذا به ينطلق لسانه بصوت قوى ضارعا إلى ربه بهذه الكلمات : « يارب ارحم من جهل مقدار نفسه فأبطره حلمك عنه » .

ثم نطق بالشهادتين وأتمهما ، وصعدت روحه إلى بارئها عند آخركلمة من تشهده .

---

(١) اسمه : أحمد بن طولون ،وكنيته : أبو العباس ، وهو صاحب الديار المصرية والشامية والثغور ، وأمير الدولة الطولونية ؛ وأصله تركى مستعرب وكان متصفا بالشجاعة والجود ، وحسن السيرة ، والشدة على خصومه ، وكان يباشر مهام الأمور بنفسه ، توفى سنة (٢٧٠هـ) .

المصادر والمراجع

١ــ القرآن الكريم .

٢ــ مختصر تفسير ابن كثير .

٣ــ تفسير النسفى .

٤ــ صحيح البخارى .

٥ــ صحيح مسلم .

٦ــ الموطأ للإمام مالك .

٧ــ مسند الإمام أحمد .

٨ ــ عمدة القارى، شرح صحيح البخارى للإمام العينى، جـ ٢١ ، ٢٢ .

٩ــ فتح البارى ، شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى، جـ ٦ ، ٧ ، ١٠ .

١٠ــ القاموس المحيط .

١١ــ مختار الصحاح .

١٢ــ المعجم الوسيط .

١٣ــ المعجم الوجيز .

١٤ـ تاريخ الطبرى ، طبعة دار المعارف بمصر .

١٥ـ البداية والنهاية لابن كثير ، جـ ٩ ، ١٠ .

١٦ـ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ ٩ .

١٧ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ، جـ ٤ .

١٨ـ المصنف لابن أبى شيبة .

١٩ـ وصايا العلماء .

٢٠ـ الثبات عند الممات لابن الجوزى .

٢١ـ سير أعلام النبلاء .

٢٢ـ تاريخ الخلفاء .

٢٣ ـ الرياض النضرة .

٢٤ـ تاريخ دمشق .

٢٥ـ الأعلام للزركلى .

٢٦ـ السيرة النبوية لابن هشام ١ـ ٤ .

٢٧ـ قصص الأنبياء للإمام أبى الفداء ابن كثير ، دار الشام .

٢٨ـ نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشبلنجى .

٢٩ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبى نعيم أحمد بن

عبد الله الأصبهانى ، دار الكتاب العربى .

٣٠ـ صفة الصفوة .

٣١ـ طبقات ابن سعد .

٣٢ـ الزهد لأحمد بن حنبل .

٣٣ـ سيرة أحمد بن طولون للبلوى .

٣٤ـ سير ملهمة من الشرق والغرب : تأليف صمويل ينستسون ، ووليام دى ويث بقلم إسماعيل مظهر ـ مكتبة النهضة المصرية .

٣٥ـ حياة الصالحين ــ الكتاب الثالث عبد المنعم قنديل ـ مكتبة التراث الإسلامى .

٣٦ـ حجة الإسلام : الغزالى ـ أبو الحسن الندوى ــ المختار الإسلامى .

٣٧ـ شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث ، حياته ومعراجه إلى الله . بقلم د . عبد الحليم محمود ـ الشعب .

٣٨ـ عمر بن عبد العزيز ، خامس الخلفاء الراشدين : د . محمد عمارة ، دار الهلال .

٣٩ـ أبو هريرة ، رواية الإسلام للأستاذ / محمد عجاج الخطيب .

٤٠ـ بـلال مؤذن الرسول: عبـد الحميد جـودة السحار، مكـتبة مصر .

٤١ـ أنبياء الله : أحمد بهجت .

٤٢ـ الرحيق المختوم لصفى الرحمن المباركفورى .

٤٣ـ الشيخان للدكتور طه حسين .

٤٤ـ الـزهاد الأوائل . دراسـة فى الحيـاة الروحيـة الخالصـة فى القرون الأولى: د . مصطفى حلمى ،دار الدعوة .

٤٥ـ خديجـة بنت خويلد للأسـتاذين : عبد السـلام العشرى ، محمد عبد الغنى حسن ،وزارة التربية والتعليم بمصر .

٤٦ـ أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح: أحمد الشرباصى ـ ، مطبعة الاعتصام .

٤٧ـ الأئمة الأربعة : أحمد الشرباصى ،دار الهلال .

٤٨ـ رجال حول الرسول خالد محمد خالد ،دار الريان للتراث .

٤٩ـ السيدة زينب بطلة كربـلاء : د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار الهلال .

٥٠ـ السيدة زينب عقيلة بن هـاشم: مجمد فهمى عبد الوهاب ، دار الاعتصام .

٥١ــ سعد بن أبى وقاص: عبد السلام العشرى ، وزارة التربية والتعليم بمصر .

٥٢ــ صور من حياة الصحابة (جـ ٣ ، ٤): د . عبد الرحمن رأفت الباشا ، وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية .

٥٣ــ مجلة الوعى الإسلامى العدد : ١٠٧ (١٣٩٣ هـ)، العدد: ١١٤ (١٣٩٤ هـ .) ، العدد : ١٢٦ (١٣٩٥ هـ) .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
(رضى الله عنه)	٧٦
الوصية والكلمات الأخيرة للصحابى المجاهد بنفسه وماله «عبد الرحمن بن عوف» (رضى الله عنه)	٧٧
الكلمات الأخيرة لأبى الوليد «عبادة بن الصامت» ـ (رضى الله عنه)	٧٨
الكلمات الأخيرة للصحابى العبقرى «حذيفة بن اليمان» (رضى الله عنه)	٧٩
الكلمات الأخيرة للباحث عن الحقيقة «سلمان الفارسى» (رضى الله عنه)	٨٠
الكلمات الأخيرة لأستاذ فن الفداء «خباب بن الأرت» (رضى الله عنه)	٨٢
الكلمات الأخيرة للصحابى المجاهد «عمار بن ياسر» (رضى الله عنه)	٨٤
آخر كلمات محرر مصر من الرومان «عمرو بن العاص» (رضى الله عنه)	٨٥
الكلمات الأخيرة لفاتح العراق ومدائن كسرى «سعد بن أبى وقاص» (رضى الله عنه)	٨٧
الكلمات الأخيرة لذاكرة عصر الوحى «أبى هريرة» (رضى الله عنه)	٨٨
خاتمة مطاف المثابر الأواب «عبد الله بن عمر» (رضى	

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٢٥٨٨ / ١٩٩٥م

I.S.B.N:977-255-118-7

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت٣٤٢٧٢١٠/٣٥٦٢٢٠/٣٥٦٢٣٠

ص.ب: ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨